التراث الأرثوذكسي

ISSN 1814-7038

السنة العشرون، العدد السادس، آذار ٢٠٢٤

مختارات آبائية / حياة روحية / كتاب مقدس / لاهوت

القديس لوقا رئيس أساقفة سيمفروبول وسائر القرم،

عظة حول يوم الدينونة الرهيب وحلم نبوحذنصّر

تناهى الليل وتقارب النهار

تعاليم المسيح وتعاليم البشر

المتقدم في الكهنة ألكسندر شميمن، عظة في أحد الأرثوذكسية

المتروبوليت أثناسيوس (ليماسول)، بدونه لا يمكن للعالم أن يوجد

ستيليانوس ياراسيموس، صلاة النوم الكبرى في عبادة الصوم الكبير

سوتيريوس سارفانيس، المديح ودور والدة الإله في الصوم الكبير

مسكونيات

د. اسكندر كفوري، قبل أن يغرق المركب...

الأب أنطوان ملكي، حوار مؤلم

عظة حول يوم الدنونة الرهيب وحلم نبوخذنصّر

القديس لوقا رئيس أساقفة سيمفروبول وسائر القرم
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

في العصور القديمة جداً، حكم الطاغية القوي نبوخذنصر في بابل، وأخضع العديد من ممالك الأرض.
في إحدى الليالي، رأى حلماً فظيعاً، مما أزعجه كثيراً. لكنه استيقظ في الصباح ونسي هذا الحلم تماماً وأمر باستدعاء جميع السحرة والمشعوذين والعرافين والحكماء إليه. وطالبهم بشرح حلمه له. لكن، بالطبع، لا يمكن لأحد أن يعرف ويقول ما حلم به الملك، ووعدوه بتفسير حلمه فقط إذا أخبرهم به بنفسه.
فغضب نبوخذنصر غضباً شديداً وأمر بإبادة جميع الحكماء والمشعوذين والسحرة في مملكته.
وقد علم بذلك النبي دانيال، الذي كان آنذاك في السبي البابلي مع كل شعب إسرائيل. وكان هو أيضاً في خطر الموت. لكن الله كشف له حلم الملك ومعناه. وظهر أمام الطاغية الرهيب نبوخذنصر وأخبره بحلمه: " «أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنْتَ تَنْظُرُ وَإِذَا بِتِمْثَالٍ عَظِيمٍ. هذَا التِّمْثَالُ الْعَظِيمُ الْبَهِيُّ جِدّاً وَقَفَ قُبَالَتَكَ، وَمَنْظَرُهُ هَائِلٌ. رَأْسُ هذَا التِّمْثَالِ مِنْ ذَهَبٍ جَيِّدٍ. صَدْرُهُ وَذِرَاعَاهُ مِنْ فِضَّةٍ. بَطْنُهُ وَفَخْذَاهُ مِنْ نُحَاسٍ. سَاقَاهُ مِنْ حَدِيدٍ. قَدَمَاهُ بَعْضُهُمَا مِنْ حَدِيدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَزَفٍ. كُنْتَ تَنْظُرُ إِلَى أَنْ قُطِعَ حَجَرٌ بِغَيْرِ يَدَيْنِ، فَضَرَبَ التِّمْثَالَ عَلَى قَدَمَيْهِ اللَّتَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ وَخَزَفٍ فَسَحَقَهُمَا. فَانْسَحَقَ حِينَئِذٍ الْحَدِيدُ وَالْخَزَفُ وَالنُّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ مَعاً، وَصَارَتْ كَعُصَافَةِ الْبَيْدَرِ فِي الصَّيْفِ، فَحَمَلَتْهَا الرِّيحُ فَلَمْ يُوجَدْ لَهَا مَكَانٌ. أَمَّا الْحَجَرُ الَّذِي ضَرَبَ التِّمْثَالَ فَصَارَ جَبَلاً كَبِيراً وَمَلأَ الأَرْضَ كُلَّهَا." (دانيال ٢:٣١-٣٥).

وقد فسّر دانيال النبي حلم نبوخذنصر هذا بأنه تاريخ الممالك التي ستقوم بعد مملكته التي تظهر في الحلم على أنها أعلى كل الممالك، مثل رأس التمثال الذهبي. وستتبعها ممالك أخرى قوية جداً، مثل الفضة والنحاس والحديد، مثل صدر وبطن وفخذي صنم مصنوع من النحاس الذي كان ذا قيمة كبيرة جداً في العصور القديمة؛ كما ستقوم ممالك قوية كالحديد الذي هو أقوى المعادن وكانت قوائم الصنم حديدية، فيما أصابع القدمين كانت مصنوعة من خليط من الحديد والطين، هي صورة الممالك الأضعف.
وعلى هذه البقعة الضعيفة من الصنم، التي تصوّر الممالك اللاحقة الضعيفة، ضُرب حجر، فانشقّ الجبل من دون مشاركة أيدي، وانهار الصنم الرهيب، وتكسّر إلى قطع صغيرة كالغبار الذي تذريه الريح.
والحجر، غير المقطوع باليد، انفصل بقوة الله عن "الجبل غير المقطوع" - السيدة العذراء مريم - وأصبح جبلاً ضخماً يغطي الأرض كلها.
هكذا هي قوة المسيحية الإلهية التي غزت جميع الشعوب الوثنية.
إن تفسير حلم نبوخذنصر قد أعطاه الروح القدس للنبي العظيم دانيال، وكما نعلم من تاريخ البشرية اللاحق، فقد تحقّق بشكل دقيق. كان المعبود الضخم والرهيب صورةً للعديد من الممالك والدول التي كانت تشترك برذيلة

خطيرة، وكلها كانت فيها نقطة ضعف واحدة - الأقدام، هي جزء من الحديد وجزء من الطين. ونقطة الضعف هذه كانت غياب الحقيقة.

إن لكلمات الأنبياء العظماء، الموحى بها من الروح القدس، أهمية أبدية. وإلى الآن يقف أمام أعيننا العقلية صنم رهيب كان يحلم به الملك نبوخذ نصر: إلى الآن ما زلنا نرى في التاريخ القريب كما في الأحداث المعاصرة أن الدول، إذ ترغب في السيطرة على العالم كله، تعتمد على قوة الذهب والفضة، على القوة العسكرية لدروعهم، قوة الأفخاذ الحديدية، شاردين في كل الأرض ودائسين الشعوب الضعيفة. لكننا نعلم من النبي دانيال أن أقدامهم الرهيبة مصنوعة من الطين وجزء يسير من الحديد.

سوف تأتي هذه الدول الجبارة إلى نهاية بائسة عندما يأتي يوم القيامة العظيم المجيد، عندما يضرب "الحجر المقطوع بدون أيدي" جميع عمال الإثم، من الدول بأكملها إلى الأفراد، على الأرجل الطينية لا بقوة الإنسان مبعداً إياهم عن "الجبل غير المقطوع".

عندها سوف تنهار كل قوة الإنسان وقدرته. من ثم يُقام جميع الموتى بقوة الحجر غير المقطوع - ربنا يسوع المسيح - وتبدأ دينونته الرهيبة لكل العالم. فيأمر ملائكته أن يفرقوا جميع الذين يقدمون إلى الدينونة، فيجعلوا البعض عن يمينه والبعض عن يساره، ويقول للواقفين عن اليمين: "تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيباً فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَاناً فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضاً فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوساً فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ. فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ حِينَئِذٍ قَائِلِينَ: يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعاً فَأَطْعَمْنَاكَ، أَوْ عَطْشَاناً فَسَقَيْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيباً فَآوَيْنَاكَ، أَوْ عُرْيَاناً فَكَسَوْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضاً أَوْ مَحْبُوساً فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟ فَيُجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ. ثُمَّ يَقُولُ أَيْضاً لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ، لأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي. كُنْتُ غَرِيباً فَلَمْ تَأْوُونِي. عُرْيَاناً فَلَمْ تَكْسُونِي. مَرِيضاً وَمَحْبُوساً فَلَمْ تَزُورُونِي. حِينَئِذٍ يُجِيبُونَهُ هُمْ أَيْضاً قَائِلِينَ: يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعاً أَوْ عَطْشَاناً أَوْ غَرِيباً أَوْ عُرْيَاناً أَوْ مَرِيضاً أَوْ مَحْبُوساً وَلَمْ نَخْدِمْكَ؟ فَيُجِيبُهُمْ قِائِلاً: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدِ هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا. فَيَمْضِي هؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (متى ٢٥:٣٤-٤٦).

كما ترون، فإن الرب القدير، قاضي العالم الرهيب، سوف يحكم على جميع الأمم بمعيارين أو علامتين، لا بل بعلامة واحدة فقط هي رمز للحقيقة الأسمى، لأنها لا تنفصل عن المحبة الكاملة. من أجل أعمال الحق والمحبة، سوف يبرر أولئك الذين على اليمين؛ وعلى أعمال الإثم والكراهية لله والناس سوف يدين الواقفين على اليسار.

سيكون بين الأبرار والمباركين كثير من الناس العاديين، الذين قال عنهم الرسول بولس: "ولكن اخْتَارَ اللهُ جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ ضُعَفَاءَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الأَقْوِيَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ لِيُبْطِلَ الْمَوْجُودَ" (١ كورنثوس ١:٢٧-٢٨).

هؤلاء الناس البسطاء ليس عندهم أي شيء مشترك مع الصنم الرهيب الذي ظهر في حلم نبوخذنصر. عقلهم غير مثقّف، وغير متعلم، ولا يشبه رأس الصنم الذهبي. ليس لديهم قوة المال الجبارة، ولا قوة النحاس والحديد

وقدرتهما، وأيضاً ليس لديهم أقدام من طين. إن كيانهم كله مكوّن من لحم بشري، بالطبع لن يضربه الحجر غير المقطوع بيد، الذب لا يسحق إلا الكذب.

إنهم أناس طيبون وبسطاء أحبوا شمس الحق، الرب يسوع المسيح، من كل قلوبهم.

ليمنحنا ربنا يسوع المسيح الفرح الأبدي لنكون بين الذين لا يجد فيهم إثماً.

وليحسبنا أيضاً من بين جماعة غير الحكماء والمحتقرين، لا من الذين أبيدوا من الحكماء والأقوياء. آمين.

* عظة أُلقيَت في أحد مرفع اللحم سنة ١٩٥٨.

Source: St. Luke of Simferopol . Homily on the Terrible Day of Judgment and the Dream of Nebuchadnezzar. Mystagogy Resource Center, February 19, 2023. https://www.mystagogyresourcecenter.com/2023/02/homily-on-terrible-day-of-judgment-and.html

تناهى الليل وتقارب النهار

القديس لوقا رئيس أساقفة سيمفروبول وسائر القرم
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

لا تكونوا مَدينين لأحد بأي شيء غير المحبة المتبادلة. مَن أحب غيرَه فقد أكمل الناموس. فإن الوصايا: "لا تزنِ"، "لا تقتل"، "لا تسرق"، "لا تشهد بالزور"، "لا تشتهِ"، وسائر الوصايا الأخرى كلها محتواة في هذه الكلمة: "أحبب قريبك كنفسك." المحبة لا تؤذي القريب؛ إذاً المحبة هي تكميل الناموس" (رومية ١٣:٨-١٠).

ألا تدركون يا أحبائي أن كلمات الرسول القديس هذه تتطابق مع ما قلته لكم يوم الأحد الماضي عن دينونة المسيح الأخيرة؟ أخبرتكم أن الرب يسوع المسيح لن يسأل الناس إلا عن شيء واحد في دينونته، فقط عمّا إذا كانوا قد عملوا أعمال رحمة أم لا، وأولئك الذين عملوا أعمال الرحمة سيمجدهم إلى الأبد في ملكوته، وأما القُساة، فاقدو الرحمة، الذين لم يساعدوا أخاهم أبداً، سيحكم عليه بالعذاب الأبدي. "هذَا وَإِنَّكُمْ عَارِفُونَ الْوَقْتَ، أَنَّهَا الآنَ سَاعَةٌ لِنَسْتَيْقِظَ مِنَ النَّوْمِ، فَإِنَّ خَلاَصَنَا الآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا" (رومية ١٣:١١).

فاعملوا، تصرّفوا حسب ما تمليه المحبة، أظهروا المحبة للناس، إذ قد حان الوقت للنهوض من النوم، من نوم الخطيئة، من العيش في الظلمة والديجور . "قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ، فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ. لِنَسْلُكْ بِلِيَاقَةٍ كَمَا فِي النَّهَارِ: لاَ بِالْبَطَرِ وَالسُّكْرِ، لاَ بِالْمَضَاجِعِ وَالْعَهَرِ، لاَ بِالْخِصَامِ وَالْحَسَدِ. بَلِ الْبَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، وَلاَ تَصْنَعُوا تَدْبِيراً لِلْجَسَدِ لأَجْلِ الشَّهَوَاتِ."

لماذا يقول الرسول أن الخلاص أقرب إلينا الآن، وقد أصبحنا مسيحيين كاملين إلى حد ما، مما كنا عليه عندما آمنا؟ يقول هذا لأن معرفة طريق المسيح ومعرفة القلب وإدراكه لكل وصايا المسيح لا تُعطَيان على الفور، بل تدريجياً، إذ يحفظ الإنسان في حياته وصايا المسيح أكثر فأكثر أثناء مسيرة حياته في اتباع المسيح.

إن هذا مشابه لما يحدث في الطبيعة. أنتم تعلمون أنه قبل أن تشرق الشمس بوقت طويل، يبدأ الفجر، يزداد الضوء توهجاً أكثر فأكثر، ويزداد سطوعاً وإشراقاً حتى تشرق الشمس وتنير كل شيء وكل شخص بنور النهار.

وبالمثل، فإنَّه في قلوب البشر، لا يأتي نور المسيح الكامل مباشرةً، ليس على الفور، بل تدريجياً وحسب، ليس إلا عندما نغتصب ملكوت الله بالقوة، ونبذل جهوداً كبيرة لنصبح مستحقين للرب يسوع المسيح، عندها فقط يكون "قد تناهى الليل واقترب النهار" عند هذه القلوب.

أنتم تعرفون الظلمة المادية، وتعلمون أنه عندما تغرب الشمس ولا يشرق القمر، يحل الظلام العميق. هذا الظلام لا ينيره إلا وميض خافت من النجوم السماوية، والقليل فقط يضيء. هكذا هو الحال في النفس البشرية.

لا بد أن يشرق النور في النفس البشرية، لا بد أن يمر فيها ليل، ليلةُ جهلٍ لله، ليلةُ شهوة، إفراطٌ في الطعام، وإشباعٌ لشهوات الإنسان وأهوائه، ثمّ لا بدّ أن يشرق النور.

هناك الكثير من البشر التعساء الذين يسود الظلام دائماً في نفوسهم، مثل ظلام الليل، ولكن عندهم أيضاً نور خافت في نفوسهم، مثل ضوء النجوم المتلألئة. إنه نور ضميرهم، فالضمير يوقظنا من الظلمة، الضمير يرينا النور، الضمير يشير إلى أننا نسير في الظلمة، في الظلمة الدامسة، الضمير يدلنا على طريق النور.

وفقط عندما يستمع الإنسان باهتمام عميق لصوت ضميره، عندها فقط سيبدأ الظلام يتبدد عنه، ويشرق نور الشمس.

وأما الذين يدوسون دم المسيح فإنهم لا يؤمنون بشيء مقدس، والذين يعيشون حسب مشيئة جسدهم، ويطيعون أهواءهم وشهواتهم، هؤلاء لن يضيء لهم الطريق، بالنسبة لهؤلاء لن يمرّ الليل، وفي الظلام العميق سينهون حياتهم المظلمة الخاطئة.

وما معنى قول الرسول: "البسوا المسيح"؟ كيف يمكنك أن تلبس المسيح؟ إن الملابس الدافئة في الشتاء، والملابس الصيفية في الصيف تحمي جسمنا من البرد والحرارة.

لكن روحنا تعاني أيضاً من البرد والحرارة - من برودة الوساوس الشيطانية ومن حرارة الأهواء والشهوات. ومن الضروري، من الأساسي أن تكون أرواحنا أيضاً دافئة، تماماً كما تكون أجسادنا دافئة. ما الذي يدفئ أرواحنا؟ فقط نعمة الروح القدس، لأنها ضرورية لأرواحنا مثل لباس الجسد، إذ بدون هذه الحماية لن يحمينا شيء من البرد الجهنمي؛ ولن نرد عن أنفسنا بأي شكل من الأشكال حرارة الأهواء والشهوات اللعينة.

وهكذا، إذ نمضي أيضاً وأيضاً على الطريق الضيق والشائك الذي أشار إليه المسيح، وإذ نمتلئ بالمحبة لإخوتنا، وإذ نتمم وصايا المسيح، فإننا نحقق إرادته - إلى الحد الذي نلبس فيه المسيح في نفوسنا ونلبس الثياب الروحية المقدسة.

يقول الرسول الكريم أنه عندما يمر الليل ويشرق النور، يجب علينا أن نغيّر كامل حياتنا، أن نغيرها تدريجياً. لا ينبغي لنا أن ننغمس في الولائم، أو السكر، أو الشهوانية، أو الحسد، أو شهواتنا الخاصة، بل يجب أن نعيش حياة جديدة، حياة مقدسة، حياة نقية.

وكم من إخوتنا البائسين الذين لا يعرفون هذا، ولا يريدون سماع كلمات الرسول هذه، الذين لا يخشون أن يسكروا بالخمر حتى في الأيام المقدسة، حتى في يوم الجمعة العظيمة، إنهم لا يخافون من شرب الخمر ولا من أن ينغمسوا في الولائم. لا نسمحنّ بأن يحدث هذا لنا!

لقد أتى زمان الصوم الكبير، الوقت الذي يجب أن نتعلم فيه التعفف، الامتناع ليس فقط عن الإفراط في تناول الطعام والأطباق اللذيذة، ولكن كل أشكال التعفف - الامتناع عن شهواتنا، الامتناع عن الكلمات الشريرة وعن الحقد والكراهية.

يبدأ هذا الزمن المبارك عندما نعيش بالضرورة بطريقة مختلفة تماماً، مواضِعين جسدنا بالصوم، فإن أهمية الصوم عظيمة.

إذا تعلمنا إخضاع شهوات الجسد، فسنتعلم شيئاً فشيئاً الامتناع عن كل ما يدنس أرواحنا، وعن كل إثم، وعن النجاسة الروحية والجسدية.

لقد حان الوقت المبارك الذي فيه علينا أن نتوقف عن الولائم، أن نترك الشهوانية، أن نحزن على خطايانا - لقد حان وقت النعمة هذا.

افرحوا بأنه قد جاء، وانفقوه كما علمنا الرسول القدوس. آمين.

* عظة في أحد مرفع الجبن، ٧ آذار ١٩٥٤

Source: The Night Has Passed and the Day is Near. By St. Luke, Archbishop of Simferopol and All Crimea. https://www.mystagogyresourcecenter.com/2023/02/homily-for-cheesefare-sunday-night-has.html

تعاليم المسيح وتعاليم البشر

القديس لوقا رئيس أساقفة سيمفروبول وسائر القرم
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

كما تتذكرون، في الأحد الأول من الصوم الكبير احتفلت الكنيسة المقدسة بانتصارها بالاعتراف بالأرثوذكسية من قبل سبعة مجامع مسكونية، وها هي في الأحد الثاني تكرّم ذكرى القديس غريغوريوس بالاماس، المدافع العظيم عن الأرثوذكسية.

عاش في القرن الرابع عشر، أي بعد ستة قرون تقريباً من آخر مجمع مسكوني. تلقى تعليماً شاملاً، وكان مقرَّباً من الإمبراطور البيزنطي وخدم معه، لكنه ترك بعد ذلك حياة البلاط واعتزل في جبل آثوس، لأن نفسه سعت إلى شركة دائمة مع الله لا تنفصم. وفي أيامه، نشأ تجديف على الرهبنة، وخاصة على رهبان آثوس، الذين كان يُستَهزأ بهم لأنهم كرسوا حياتهم كلها فقط لخدمة الله، متأمّلين ومصلّين.

شجب القديس غريغوريوس هؤلاء المنتقدين بقوة كبيرة ووقف مُدافعاً عن الرهبنة الأرثوذكسية. في الوقت نفسه قام المهرطِق برلعام الذي علّم بشكل خالٍ من التقوى أن الرب يسوع المسيح، في تجليه العظيم على جبل ثابور، أشرق لا بنورٍ إلهي، بل بنور أرضي بسيط. وقد أدان القديس غريغوريوس هذه الهرطقة وأكد على عقيدة المصدر الإلهي لنور ثابور.

في يوم عيد هذا القديس العظيم، مثل كل القديسين، تسمعون كلام المسيح في القراءة الإنجيلية: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الَّذِي لاَ يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَى حَظِيرَةِ الْخِرَافِ، بَلْ يَطْلَعُ مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ، فَذَاكَ سَارِقٌ وَلِصٌّ. وَأَمَّا الَّذِي يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ فَهُوَ رَاعِي الْخِرَافِ" (يوحنا ١٠:١-٢).

هنا يُشبّه جميع المعلمين الكذبة والهراطقة باللصوص وقطاع الطرق الذين لا يريدون الدخول بتواضع إلى الإيمان المقدس من باب الأرثوذكسية، بل يجتهدون للتسلق من مكان آخر. ولكنَّ هنالك باباً مقدساً شرعياً واحداً فقط إلى التعليم الإلهي، ولدينا معلم واحد - المسيح (انظر متى ٢٣: ٨)، ويجب علينا أن نتبعه وحده، وليس أي شخص آخر. " ٩ أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعًى." (يوحنا ١٠:٩).

عند هذا الباب عيّن الربُّ الرسل القديسين حراساً لملكوت السماوات، وبعد ذلك نال العديد من الرعاة الصالحين رسامات لاحقة؛ جميعُهم يعلّمون الخراف الصالحة، رعية المسيح، لتسمع صوت المعلم والراعي الوحيد، لتتبع المسيح.

لقد كان وما يزال هناك العديد من القادة الذين يختارهم الجنس البشري لنفسه، والعديد من المعلمين الذين يحدِّدون مسارات الحياة المختلفة. لكن الرب يسوع المسيح يوصينا نحن المسيحيين أن نتبعه وحده، هو الراعي الصالح الذي يضع نفسه عن خرافه (راجع يوحنا ١٠:١١).

ماذا يعلّم جميع قادة البشر، وكيف تختلف تعاليمهم عن تعاليم الرب يسوع المسيح؟ إن جميع التعاليم الإنسانية تهدف إلى تحسين حياتنا الاجتماعية والسياسية، وهي تقريباً لا تتحدث إلا عن كيفية تنظيم الحياة من

الخارج، وقوانين الدولة التي يجب إنشاؤها، وكيفية تحقيق الشكل الأمثل للحكومة. قدرٌ كبيرٌ من الحكمة والعظمة والفائدة يصير معروفاً لدينا من هذه التعاليم البشرية. إننا ننحني أمام الأفضل والأجدر، أمام الأكثر عدلاً من بين هذه التعاليم.

ولكن لماذا لا نزال نتبع قائداً واحداً، ربنا يسوع المسيح؟ لماذا نضع تعليمه المقدس فوق كل التعاليم السياسية والاجتماعية في العالم، حتى فوق تلك الأكثر عدلاً بينها؟ هذا ما ينبغي فهمه.

قبْلَ الرب يسوع المسيح، كان العالم غريباً جداً عمَّا علّمه، ولم يفكر على الإطلاق في ما اعتبره الأهم والضروري للناس، ولم يفكر إلا في الخارجي. كان العالم القديم مقتنعاً بأن قوانين الدولة العادلة وحدها هي كل ما يلزم للقضاء على الشر على الأرض؛ وأن العالم الجديد يحلم بالمساواة الاجتماعية. لكن راعينا الصالح تحدث عن شيء مختلف تماماً.

أنتم تعلمون أنه أثناء صومه لأربعين يوماً في البرية، بدأ الشيطان يجربه. فأخذه إلى جبل عال وأراه جميع ممالك الأرض وقال: "وأعطيك سلطاناً على هذه الممالك ومجدها... إن سجدت لي" (لوقا ٤: ٦-٧). فأجاب الرب: "اذهب عني يا شيطان لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (لوقا ٤: ٨).

لقد رفض الربُّ أن تكون له سلطة سياسية واجتماعية، ولم يفكر في الإصلاحات الاجتماعية. ومن ثم رفض هذا السلطان في مناسبات أخرى، لأنه عندما سأله الناس أن يحكم في قضاياهم، تجنّب ذلك قائلاً: "من أقامني قاضياً بينكم؟" (لوقا ١٢: ١٤). وعندما ظهر أمام بيلاطس، قبل آلامه الرهيبة على الجلجلة، وسأله بيلاطس: "هل أنت ملك؟" أجاب: "نعم أنا ملك ولكن مملكتي ليست من هذا العالم" (يوحنا ١٨: ٣٣-٣٦).

إن هذا مهم بالنسبة لنا – أن المسيح هو قائد مملكة ليست من هذا العالم، فيما كل رؤساء البشر هم قادة مملكة هذا العالم.

ما هو الفرق الجوهري بين تعاليم المسيح وكل التعاليم البشرية؟ الفرق هو أنَّ المسيح علّمنا عن الملكوت الذي في داخلنا. علّمنا أن نصغي لصوت القلب: " لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ، تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ: زِنىً، فِسْقٌ، قَتْلٌ، سِرْقَةٌ، طَمَعٌ، خُبْثٌ، مَكْرٌ، عَهَارَةٌ، عَيْنٌ شِرِّيرَةٌ، تَجْدِيفٌ، كِبْرِيَاءُ، جَهْلٌ." (مرقس ٧: ٢١-٢٢). ستجدون نفس الفكرة في إنجيل لوقا: "اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الصَّالِحِ يُخْرِجُ الصَّلاَحَ، وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشَّرَّ. فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ فَمُهُ" (لوقا ٦: ٤٥).

في حياتنا الروحية، وبالتالي في كل الحياة الخارجية، التي هي على اتصال وثيق بالحياة الروحية، يملِك قلبُنا ويهيمن على ذهننا وإرادتنا وتطلعاتنا. نحن نفكّر كما يريد القلب، ونصدّق ما يحبه القلب، ونوجّه إرادتنا وفق تطلعات القلب. إن الإحساس، وجهازه القلب، يهيمن على كل تفكيرنا وإيماننا ومعرفتنا، على مجمل نظرتنا للعالم، وعلى جميع التطلعات الاجتماعية والسياسية.

كما يكون قلبنا، هكذا يكون نشاطنا. إذا كان القلب نقياً ومقدساً ومشبعاً بالمحبة المتقدة للرب يسوع المسيح، فإن كل الأفعال، وكل الأفكار، وجميع وجهات النظر الاجتماعية والسياسية، وكل فلسفتنا ستكون مشبعة بهذا الشعور، بهذه التوجيهات المقدسة الصادرة عن القلب. ومن ثمّ فإنَّنا، من كنز قلبنا الصالح، سنعطي ثماراً جيدة

في جميع أنشطتنا، وقبل كل شيء، في الحياة اليومية وفي التواصل مع الناس من حولنا. وإذا ساد الشر المظلم في القلب، فبغض النظر عن مدى كمال هيكل المجتمع والدولة، وبغض النظر عن مدى عدالة القوانين المعمول بها، فإنَّ القلب سيفعل الشر. ما من قوانين أو نُظُم اجتماعية قادرة أن تكبح قلب الإنسان.

يسعى الناس إلى معاقبة الشر بالعقوبات القضائية، لكن الشر يستمر، والجرائم لا تتوقف. أنتم تعلمون أنه حتى بوجود البُنية الأكثر كمالاً للدولة، هناك العديد من الأشخاص الوضيعين وغير الشرفاء الذين يفعلون الشر وبكل أعمالهم يدمرون كل ما هو صالح، وبتطلعات قلوبهم السوداء يعيقون الدولة ويحرمونها من القوة؛ هناك الكثير من الأشخاص الأنانيين الذين لا يهتمون إلا بأنفسهم، ولا يتوقفون عند سحق كل من يقف في طريق حياتهم. أنتم تعلمون كم يوجد من الأشخاص الفاسدين، ولا توجد قوانين يمكنها أن تجعل جميع الناس أنقياء ولطيفين بحيث لا يعود هناك أشخاص غير شرفاء، ولا أنانيون.

وحده الرب يسوع المسيح يستطيع أن يفعل هذا، لأنه أتانا بتعاليمه الإلهية حول ما ينبغي أن يكون عليه قلبنا، وكيف ينبغي لنا أن نصححه. وبدمه وجسده اللذين نتناولهما، يمنحنا القوة لمحاربة الشر ولتنقية قلوبنا. ولهذا السبب فهو القائد القدوس الوحيد بالنسبة لنا، لأن القضاء على الشر لا يمكن أن يتحقق، ولن يتحقق أبداً، بواسطة القادة البشريين. نحن بحاجة إلى النعمة الإلهية، القوة الإلهية لتصحيح قلوب البشر، نحتاج إلى معونة مفعَمة بالنعمة للناس في الحرب ضد الشر. كيف لا نحب الرب يسوع المسيح من كل قلوبنا، وهو الذي علّمنا الحقيقة العميقة، ولفت انتباهنا إلى قلوبنا، وأتى بالتعليم الإلهي والمنير عن محبة القريب؟

وتجدر الإشارة إلى أن ما علّمه - المحبة والرحمة والوداعة والتواضع - كان غريباً جداً عن قلوب الوثنيين. لم يكونوا يبجّلون الوداعة، بل الكبرياء، واعتبروا أن إعطاء الصدقات للفقراء هو ضعف لا يغتفر. لقد طوّروا العبودية على نطاق واسع، مما أدى إلى إهانة الكرامة الإنسانية؛ لم يعتبروا العبيد أشخاصاً وعاملوهم مثل الماشية. إن كلمات المحبة والوداعة والتواضع والرحمة بدَتْ شاذة وعبثية بينهم. لكن هذه الكلمات ترددت في كل أنحاء العالم في التعليم الإلهي للرب يسوع المسيح واحتلت قلوب البشر تدريجياً. وبدلاً من التفاخر وازدراء الناس كما في السابق، تم ترسيخ الاعتراف بكرامة هذه الصفات بالذات.

لذلك، يجب على كل مسيحي أن يتذكّر أنه عليه تطهير قلبه واستئصال الأفكار الشريرة منه والسعي إلى تقديسه. يقول الرسول القديس يعقوب: "طَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي الرَّأْيَيْنِ. اكْتَئِبُوا وَنُوحُوا وَابْكُوا. لِيَتَحَوَّلْ ضَحِكُكُمْ إِلَى نَوْحٍ، وَفَرَحُكُمْ إِلَى غَمٍّ. اتَّضِعُوا قُدَّامَ الرَّبِّ فَيَرْفَعَكُمْ" (يعقوب ٤:٩-١٠).

تواضعوا أمام الرب، وتوبوا عمَّا يدنس قلوبكم، واملؤوا حياتكم بالرغبة بالمحبة والخير والرحمة، فتحلّ عليكم نعمة الروح القدس. آمين.

Source: St. Luke, Archbishop of Simferopol and All Crimea. Homily for the Second Week of Great Lent: The Teachings of Christ and the Teachings of Men. Translated by John Sanidopoulos.
https://www.mystagogyresourcecenter.com/2023/03/homily-for-second-week-of-great-lent.html

عظة في أحد الأرثوذكسية

المتقدم في الكهنة ألكسندر شميمن

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

ما يلي عظة نبوية لأب أرثوذكسي معروف من القرن العشرين، ألكسندر شميمن. من المحبِط أنه بعد ما يقرب من نصف قرن من هذا الخطاب النبوي، ما زال موقف الكنائس "الأم" يمعن في عدم إطلاق كنيسة أميركا. فقداسة الكثيرين في أميركا، رافائيل هواويني ويوحنا ماكسيموفيتش وأفرام أريزونا وغيرهم، تجلّت فيهم كأميركيين وليس كأنطاكيين أو يونان أو روس، وقد عكست قداستهم حرارة إيمانٍ تفتقدها غالبية كنائس الشرق التي تتمسك بأبرشياتها القومية في أميركا، على حساب الأرثوذكسية، لأسباب بات الكل يعرفها ويمكن اختصارها بإثنين: البابوية غير المعلَنة والطمع، والأمران يكسران الأرثوذكسية. إن هذه العظة تتحدى كل الأرثوذكسيين، من أولئك الذين لا يزالون يحنّون إلى امبراطورية "إلهية" انقضت إلى غير رجعة، إلى الذين يحاولون بناء امبراطوريات لأنفسهم وليست للمسيح الذي لا يحتاج ممالكاً. ومن الذين تشغلهم صور بوتين يضيء الشموع أو غيرهم من الذين يندبون اليونان لأنها تتبنى قوانين الغرب أو تثير غضبهم إعادة تحويل الأيا صوفيا إلى مسجد. هؤلاء جميعاً يدلّهم الأب شميمن على الانتصار الحقيقي الذي يتلهّون عنه. (أسرة التراث الأرثوذكسي)

باسم الآب والابن والروح القدس. آمين.

إذ نحتفل اليوم بانتصار الأرثوذكسية في هذا الأحد الأول من الصوم الكبير، نفرح بذكرى ثلاثة أحداث: حدث ينتمي إلى الماضي، حدث في الوقت الحاضر، وحدث في المستقبل.

عند كل عيد أو فرح في الكنيسة، ننظر، نحن الأرثوذكس، أولاً إلى الوراء لأننا في حياتنا الحالية نعتمد على ما حدث في الماضي. إننا نعتمد قبل كل شيء، بالطبع، على الانتصار الأول والنهائي، وهو انتصار المسيح نفسه. إن إيماننا متأصل في تلك الهزيمة الغريبة التي أصبحت أعظم انتصار: هزيمة الرجل المسمّر على الصليب، القائم من بين الأموات، الذي هو الرب وسيد العالم. هذا هو أول انتصار للأرثوذكسية. هذا هو محتوى كل تذكاراتنا وكل أفراحنا. لقد اختار هذا الرجل وانتقى اثني عشر رجلاً، وأعطاهم القدرة على الكرازة بتلك الهزيمة وذلك النصر، وأرسلهم إلى العالم أجمع قائلاً: اكرزوا وعمّدوا، ابنوا الكنيسة، أعلنوا ملكوت الله. وأنتم تعلمون، أيها الإخوة والأخوات، كيف خرج هؤلاء الرجال الاثني عشر، وهم رجال بسطاء جداً، وصيادون بسطاء، وكرزوا. لقد كرههم العالم، واضطهدتهم الإمبراطورية الرومانية، وغرّقتهم بالدماء. لكن تلك الدماء كانت نصراً آخر. نَمَت الكنيسة، وغطت الكنيسة الكون بالإيمان الحقيقي. بعد ٣٠٠ عام من الصراع غير المتكافئ بين الإمبراطورية الرومانية القوية والكنيسة المسيحية العاجزة، قبلت الإمبراطورية الرومانية المسيح رباً ومعلماً. كان هذا هو الانتصار الثاني للأرثوذكسية. لقد اعترفت الإمبراطورية الرومانية بالذي صلبته والذين اضطهدتهم كحاملين للحق، وبأن تعليمهم هو تعليم الحياة الأبدية. انتصرت الكنيسة. ولكن بعد ذلك بدأت الفترة الثانية من الاضطرابات.

شهدت القرون التالية محاولات عديدة لتشويه الإيمان وتكييفه مع احتياجات الإنسان وإشباعه بالمحتوى الإنساني. في كل جيل كان هناك من لا يستطيع أن يقبل رسالة الصليب والقيامة والحياة الأبدية. لقد حاولوا تغييره، وهذه التغييرات نسميها بُدَعاً. مرة أخرى كان هناك اضطهاد. ومرة أخرى، دافع الأساقفة والرهبان والعلمانيون الأرثوذكسيون عن إيمانهم وأُدينوا ونفوا وغرقوا بالدم. وبعد خمسة قرون من تلك الصراعات والاضطهادات والمناقشات، جاء اليوم الذي نحتفل بذكراه اليوم، يوم الانتصار النهائي للأرثوذكسية كإيمان حقيقي على كل البدع. حدث ذلك في الأحد الأول من الصوم الكبير سنة ٨٤٣ في القسطنطينية. بعد ما يقرب من مئة عام من الاضطهاد الموجّه ضد إكرام الأيقونات المقدسة، أعلنت الكنيسة أخيراً أن الحقيقة قد تمّ تحديدها، وأن الحقيقة أصبحت بالكامل في حوزة الكنيسة. ومنذ ذلك الحين، يجتمع جميع الأرثوذكسيين، أينما كانوا، في هذا الأحد ليعلنوا أمام العالم إيمانهم بهذه الحقيقة، وإيمانهم بأن كنيستهم رسولية حقاً، أرثوذكسية حقاً، جامعة حقاً. وهذا هو حدث الماضي الذي نحتفل به اليوم.

لكن لنسألْ أنفسنا سؤالاً واحداً: هل كل انتصارات الأرثوذكسية، كل النجاحات، تنتمي إلى الماضي؟ عندما ننظر إلى الحاضر اليوم، نشعر أحياناً أن عزاءنا الوحيد هو تذكّر الماضي. في ما سبق كانت الأرثوذكسية مجيدة، وكانت الكنيسة الأرثوذكسية قوية، وقد سادَت. ولكن ماذا عن الحاضر؟ يا أحبائي الأعزاء، إذا كان انتصار الأرثوذكسية ينتمي إلى الماضي فقط، وإذا لم يكن هناك ما نفعله سوى إحياء ذكرى نكرر فيها لأنفسنا كم كان الماضي مجيداً، تكون الأرثوذكسية قد ماتت. لكننا هنا الليلة لنشهد على حقيقة أن الأرثوذكسية لم تمت فحسب، بل إنها تحتفل من جديد وإلى الأبد بانتصارها، انتصار الأرثوذكسية. قد لا يكون علينا أن نحارب البدع بيننا، ولكن هناك أشياء أخرى تتحدى إيماننا الأرثوذكسي من جديد.

اليوم، إذ نجتمع هنا، أرثوذكسيون من مختلف الخلفيات القومية، نعلن ونمجّد أولاً وحدتنا في الأرثوذكسية. هذا هو انتصار الأرثوذكسية في الوقت الحاضر. هذا حدث رائع: أن نتمكن جميعاً، مع كل اختلافاتنا، ومع كل محدودياتنا، ومع كل ضعفنا، من أن نجتمع معاً ونقول إننا ننتمي إلى هذا الإيمان الأرثوذكسي، وإننا واحد في المسيح والأرثوذكسية. نحن نعيش بعيداً جداً عن المراكز التقليدية للأرثوذكسية. نحن نسمي أنفسنا أرثوذكسيين شرقيين، ومع ذلك فنحن هنا في الغرب، بعيداً جداً عن تلك المدن المجيدة التي كانت مراكز للعقيدة الأرثوذكسية لعدة قرون - القسطنطينية، والإسكندرية، وأنطاكية، وأورشليم، وموسكو. كم تبعد تلك المدن. ومع ذلك، ألا نشعر بأن شيئاً من المعجزة قد حدث، وأن الله أرسلنا هنا، بعيداً في الغرب، لهدف أبعد من الاستقرار هنا، أو زيادة دخلنا، أو بناء مجتمع؟ لقد أرسلنا أيضاً كرسل للأرثوذكسية، لكي يصبح هذا الإيمان، الذي كان تاريخياً مقتصراً على الشرق، إيماناً شاملاً حقاً وكاملاً.

إنها لحظة مثيرة في تاريخ الأرثوذكسية. لهذا السبب من فائق الأهمية بالنسبة لنا أن نكون هنا الليلة وأن نفهم وندرك ونمتلك تلك الرؤية لما يجري. كان الناس يعبرون المحيط، ويأتون إلى هنا، ولا يفكرون كثيراً في إيمانهم بقدر ما يفكرون في أنفسهم، وحياتهم، ومستقبلهم. كانوا عادةً فقراء، وكانت حياتهم صعبة، وقاموا ببناء تلك الكنائس الأرثوذكسية الصغيرة في كل مكان في أمريكا ليس من أجل الآخرين ولكن لأنفسهم، فقط ليتذكروا ديارهم

ويديموا تقاليدهم. لم يفكروا في المستقبل. ومع ذلك، هذا ما حدث: أُرسلت الكنيسة الأرثوذكسية إلى هنا من خلال هؤلاء الرجال الفقراء ومعهم الحقيقةَ نفسها، ملءَ الإيمان الرسولي: كل هذا جاء هنا، وها نحن الآن، نملأ هذه القاعة ونعلن هذا الإيمان الرسولي، الإيمان الذي شدّد الكون. وهذا يقودنا إلى الحدث الذي لا يزال ينتمي إلى المستقبل.

إذا كنّا نستطيع اليوم أن نعلن وأن نصلي من أجل انتصار الأرثوذكسية القادم في هذه البلاد وفي العالم، فإن إيماننا الأرثوذكسي يجبرنا على الاعتقاد بأن الإيمان الأرثوذكسي اليوم قد وصل لا بالصدفة، بل بالعناية الإلهية إلى كل البلدان، كل المدن، كل قارات الكون. وبعد ذلك الضعف التاريخي لديننا، وبعد الاضطهاد على يد الإمبراطورية الرومانية، وعلى يد الأتراك، وعلى يد الملحدين، وبعد كل المشاكل التي كان علينا أن نعبر بها، يبدأ اليوم يوم جديد. شيء جديد سيحدث. وهذا هو مستقبل الأرثوذكسية الذي يجب أن نفرح به اليوم.

يمكننا بالفعل أن نقتني رؤية هذا المستقبل عندما تظهر إلى الوجود كنيسة أرثوذكسية أمريكية قوية في الغرب. يمكننا أن نرى كيف أن هذا الإيمان، الذي كان لفترة طويلة إيماناً غريباً هنا، سوف يصبح عالمياً حقاً وكاملاً، بمعنى أننا سنجيب على أسئلة جميع البشر، على كل أسئلتهم. لأنه إن كنا نؤمن بهذه الكلمة: "الأرثوذكسية"، "الإيمان الحقيقي". إذا حاولنا للحظة واحدة أن نفهم ما يعنيه ذلك: المسيحية الحقيقية الكاملة، كما أعلنها المسيح وتلاميذه؛ إذا كانت كنيستنا قد حفظت على مرّ العصور رسالةَ الرسل والآباء والقديسين في أنقى صورها، فهنا يا أصدقائي الأعزاء، هنا الجواب على الأسئلة والمشاكل والآلام في عالمنا. أنتم تعلمون أن عالمنا اليوم معقد للغاية. إنه يتغير طوال الوقت. وكلما تغير الأمر، زاد خوف الناس، وكلما زاد خوفهم من المستقبل، كلما زاد انشغالهم بما سيحدث لهم. وهنا يجب على الأرثوذكسية أن تجيب على مشكلتهم؛ هذا هو المكان الذي يجب على الأرثوذكسية أن تقبل فيه تحدي الحضارة الحديثة وتكشف للناس من جميع الأمم، لجميع الناس في العالم أجمع، أنها ظلت قوة الله المتبقية في التاريخ من أجل التحول، والتألّه، وتجلّي الحياة البشرية.

الماضي، الحاضر، المستقبل: في البداية، رجل وحيد على الصليب؛ إنها الهزيمة الكاملة. ولو أننا كنا هناك في ذلك الوقت بكل حساباتنا البشرية، لربما قلنا: "هذه هي النهاية. ولن يحدث شيء آخر". تخلّى عنه الاثنا عشر. لم يكن هناك أحد، ما من أحد يرجو. كان العالم في الظلام. بدا أن كل شيء قد انتهى. وأنتم تعرفون ما حدث بعد ثلاثة أيام. وبعد ثلاثة أيام ظهر. لقد ظهر لتلاميذه، واشتعلت قلوبهم في داخلهم لأنهم عرفوا أنه الرب القائم. ومنذ ذلك الحين، في كل جيل، كان هناك أناس قلوبهم ملتهبة، أناس شعروا أن انتصار المسيح هذا يجب أن يُحمل مراراً وتكراراً إلى هذا العالم، ويُعلَن عنه من أجل كسب نفوس بشرية جديدة وليكون قوة محوِّلة في التاريخ.

اليوم تقع هذه المسؤولية على عاتقنا. نشعر بأننا ضعفاء. نشعر أننا محدودون ونحن منقسمون، وما زلنا موزّعين في مجموعات كثيرة، وأمامنا الكثير من العقبات التي علينا التغلب عليها. لكن اليوم، في يوم أحد الأرثوذكسية، نغمض أعيننا للحظة ونبتهج بتلك الوحدة الموجودة هنا بالفعل: كهنة الكنائس القومية المختلفة يصلون معاً، والناس من جميع الخلفيات يتّحدون في الصلاة لانتصار الأرثوذكسية. نحن بالفعل في انتصار، وليساعدنا الله في الحفاظ على هذا الانتصار في قلوبنا، حتى لا نفقد الرجاء أبداً في هذا الحدث المستقبلي في تاريخ الأرثوذكسية

عندما تصبح الأرثوذكسية النصر الذي يتغلب إلى الأبد على كل العقبات، لأن ذلك النصر هو انتصار المسيح نفسه.

عندما نقترب من أهم لحظة في القداس، يقول الكاهن: "لنحب بعضنا بعضاً، لكي بفكر واحد نعترف مقرّين" ما هو شرط انتصار الأرثوذكسية الحقيقي؟ ما هو الطريق الذي يؤدي إلى النصر الحقيقي والنهائي لإيماننا؟ الجواب يأتي من الإنجيل. الجواب يأتي من المسيح نفسه ومن كل تقليد الأرثوذكسية. انه المحبة. فلنحب بعضنا بعضاً، حتى نعترف بفكر واحد... نعترف بإيماننا وأرثوذكسيتنا. دعونا، من الآن فصاعداً، نشعر بالمسؤولية تجاه بعضنا البعض. دعونا نفهم أنه حتى لو كنا منقسمين إلى رعايا صغيرة، في أبرشيات صغيرة، فإننا ننتمي أولاً لبعضنا البعض. نحن ننتمي معاً، للمسيح، لجسده، للكنيسة. دعونا نشعر بالمسؤولية تجاه بعضنا البعض، ودعونا نحب بعضنا البعض. دعونا نضع فوق كل شيء مصالح الأرثوذكسية في هذا البلد. لنفهم أن على كل واحد منا اليوم أن يكون رسولَ الأرثوذكسية في بلد لم يصبح أرثوذكسياً بعد، في مجتمع يسألنا: "بماذا تؤمنون؟" "ما هو إيمانكم؟" ودعونا، قبل كل شيء، نحتفظ بالذكرى، ونحافظ على الخبرة، ونحافظ على طعم تلك الوحدة التي نترقبها هذه الليلة.

في نهاية القرن الأول، وقد كانت الكنيسة لا تزال مجموعة صغيرة جداً، أقلية صغيرة جداً، في مجتمع كان بالتأكيد معادياً للمسيحية، إذ بدأ الاضطهاد، كتب القديس يوحنا الإلهي، تلميذ المسيح الحبيب، هذه الكلمات: "هذِهِ هِيَ الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا"[1]. لم يكن هناك انتصار في ذلك الوقت، ومع ذلك فقد عرف أنه في إيمانه حصل على النصر الذي يمكن أن ينطبق علينا اليوم. عندنا وعد المسيح بأن أبواب الجحيم لن تقوى على الكنيسة. عندنا وعد المسيح أنه إذا كان لدينا الإيمان، فإن كل شيء مستطاع. عندنا وعد الروح القدس بأنه سوف يملأ كل الضعفاء، وأنه سيساعدنا في اللحظة التي نحتاج فيها إلى المساعدة. بمعنى آخر، لدينا كل الإمكانيات، لدينا كل ما نحتاجه، وبالتالي فإن النصر لنا. إنه ليس نصراً إنسانياً يمكن تعريفه بالمال، أو النجاح البشري، أو الإنجازات البشرية. ما نبشر به الليلة، ما نعلنه الليلة، ما نصلي من أجله الليلة، هو انتصار المسيح فيّ أنا، فينا، فيكم جميعاً في الكنيسة الأرثوذكسية في أمريكا. وأن انتصار المسيح فينا، ذاك الذي صلب من أجلنا وقام من بين الأموات، وذلك النصر هو انتصار كنيسته.

اليوم هو انتصار الأرثوذكسية، وترنيمة اليوم تقول بكل جدية وبساطة: "هذا هو الإيمان الرسولي، هذا هو الإيمان الأرثوذكسي، هذا هو إيمان الآباء، هذا هو الإيمان الذي هو أساس العالم." إخوتي وأخواتي الأعزاء، هذا أيضاً هو إيماننا. لقد تمّ انتقاؤنا. نحن مُختارون. نحن القلة السعيدة التي يمكنها أن تقول عن إيماننا: "رسولي"، "جامع"، "إيمان آبائنا"، "الأرثوذكسية"، "الحق". إذ لنا هذا الكنز العجيب، فلنحافظ عليه، ولنحفظه، ولنستخدمه أيضاً، بحيث يصبح هذا الكنز انتصاراً للمسيح فينا وفي كنيسته. آمين.

* عظة في أحد الأرثوذكسية، السنة غير محددة، نُشِرَت لأول مرة في آذار ١٩٨٥

Source: Protopresbyter Alexander Schmemann. Sunday of Orthodoxy.
https://www.schmemann.org/byhim/orthodoxy1985.html

[1] ١يوحنا ٤:٥.

بدونه لا يمكن للعالم أن يوجد:

حديث حول القداس الإلهي

المتروبوليت أثناسيوس (ليماسول)

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

بعون الله، سنبدأ أيها الإخوة والأخوات بقراءة وتحليل نص القداس الإلهي بشكلٍ تدريجي. لمَ اخترت القداس الإلهي كموضوع لحديثنا؟ لأن الكنيسة تدعونا جميعاً للاشتراكِ اليومي في السر العظيم الذي يُحتفل به أثناء القداس الإلهي، والغوص في السر العميق لهذا الطقس البالغ القداسة. لا شك في أنه يجب أن نمتلك فهماً جيداً لكل ما نسمعه ونراه في الخدم الإلهية التي نشترك فيها. يجب أن نعرف كيف يُحتَفل بالقداس الإلهي.

يقول آباء الكنيسة القديسون أن العالم سيوجد [سيستمر بالوجود] طالما تتم إقامة القداس الإلهي. وبما أن القداس الإلهي هو أعظم حدث في حياة العالم أجمع، فإن اشتراكنا في القداس الإلهي يمكن أن يسمى أعظم حدث في حياتنا. عندما أقول "اشتراك" فأنا لا أعني مجرد الوقوف في الكنيسة والسماع والمشاهدة ومراقبة ما يجري أثناء الخدمة. كلا، إنني أتحدث عن اشتراكنا الحقيقي في الحدث المركزي من القداس، ألا وهو المناولة، أي الاشتراك في جسد المسيح ودمه المقدسين.

لا يُعقل أن نَعتبر شخصاً ما مسيحياً إذا كان لا يشترك في الجسد والدم المقدسين. حتى أنَّه يوجد قانون ينصُّ على أنه إذا لم يذهب المسيحي إلى القداس الإلهي لثلاثة آحادٍ، فيجب أن يُقطع من جسد الكنيسة، ولا يتم قبوله مجدداً في حضن الكنيسة إلا بعد أن يتوب. لم وضعت الكنيسة قانوناً كهذا؟ لماذا المناولة في غاية الأهمية؟ عبر المناولة نصبح واحداً مع المسيح. لقد ورثنا من جدَّينا الأولين كل ضعف الطبيعة الإنسانية الساقطة. لاحظوا أننا لم نرث ذنب الخطيئة التي ارتكبها آدم منذ آلاف السنين، بل ضعف الطبيعة التي شوهتها الخطيئة، أي آثار سقطة جدَّينا: نحن شهوانيون وتشوبنا الخطيئة، وذهننا مظلم، وخسرنا الذِّكر غير المنقطع لله. والآن علينا أن نصبح أبناء آدم الجديد، المسيح. ذلك يتحقق عبر معموديتنا واشتراكنا المستمر في سر الإفخارستيا الإلهية. ومع ذلك، فإنَّه لكي نشترك في الإفخارستيا، علينا أن نتحضر بطريقة معينة. لا يمكننا أن نتناول إذا كانت هناك معوقات لذلك، مثل خطايا غير مُعترَف بها أو سلوك شرير أو عدائي تجاه الآخرين.

لكي نشترك في الأسرار المقدسة يجب أن نكون حاضرين في القداس الإلهي (على الأقل في القداس الإلهي، ناهيكم عن الخِدَم الأخرى). ويجب أن نكون حاضرين لا كمتفرجين أو مستمعين فقط، بل كمشاركين في الخدمة، كمشاركين في حدث ظهور المسيح. نصبح شركاء في النعمة التي تملأ الكنيسة أثناء القداس الإلهي. لو كنا نستطيع أن نرى بأعين النفس مقدار النعمة التي تملأ الكنيسة أثناء الاحتفال بالقداس الإلهي، لركضنا إلى الكنيسة، وما كان شيء ليمنعنا من حضور الخِدَم.

لذا فلنبدأ الآن بقراءة نصِّ قداس القديس يوحنا الذهبي الفم.

يبدأ القداس بإعلان الشماس: "بارك يا سيّد". بالنيابة عن كل الناس المجتمعين، يحث الشماسُ الكاهنَ على البدء بخدمة القداس الإلهي.

يبدأ الكاهن معلناً: "مباركة هي مملكة الآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين". بعبارة أخرى، فلتتمجد مملكة الآب والابن والروح القدس الآن ودائماً وإلى الدهور التي لا نهاية لها.

يُحتَفل بالقداس الإلهي خارج نطاق الزمان والمكان، فيقودنا إلى حقيقة من نوعٍ آخر. يقودنا مباشرة إلى الله الآب. لذلك فإننا نبدأ الخدمة بمباركة وتمجيد مملكة الآب والابن والروح القدس، مملكة الثالوث القدوس.

ماذا يمكن للإنسان أن يقول لله؟ ما الذي يمكنه تقديمه له؟ لا شيء. لا شيء مما لدينا هو خاصتنا. والله لا يحتاج شيئاً مما لنا. ما الذي يمكنك تقريبه لله؟ شمعة؟ قنديل؟ قرابين؟ بخور؟ لا يحتاج الله أياً من هذا. كل ما نقوم به إنَّما نفعله في الحقيقة لأجل أنفسنا وليس لأجل الله. حين نبني كنيسة ونزينها بالأيقونات الجدارية، ونرسم الأيقونات ونحتفل بالقداس الإلهي، فإننا نفعل ذلك لا من أجل الله بل من أجل أنفسنا، لأنه ليس الله من يحتاج الكنائس للصلاةِ وتكريمِ الأيقونات المقدسة، بل نحن من يحتاج هذا.

ولكنَّ هنالك شيئاً واحداً يمكننا أن نقرّبه لله، مع أنَّه لا يحتاج ولا حتى لهذا. ما هو هذا الشيء؟ إنَّه استعداد نفسنا لتمجيده وشكرِه ومباركةِ اسمه إلى جميع الأدهار، حسب قول كاتب المزامير: " أُبَارِكُ اسْمَكَ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ " (مزمور ١٤٥:١). ليس لدى الإنسان ما هو أعظم من مباركة اسم الله. ولكون الإنسان حرًا، فإن لديه، لسوء الحظ، فرصة مأساوية، ليس فقط لمباركة اسم الله، بل للتجديف على اسمه أيضًا.. يتوقف كل شيء على إرادة الإنسان وما يختاره لنفسه.

لقد خلقنا الله انطلاقاً من محبته اللامتناهية، مريداً لنا أن نتمتع بمحبته. وكيف يمكننا التمتع بهذه المحبة؟ عبر تمجيد اسمه. إنه لامتيازٌ عظيم قد منحنا إياه الله. ليس عبثاً أن يُدعى القداس الإلهي أيضاً "الإفخارستيا الإلهية"، وهي تعني باليونانية "الشكر". يمكننا القول إنَّ لدينا موقفاً صحيحاً تجاه الله حين لا نكتفي بالصلاة إليه طالبين أن يرحمنا حين نرى أنفسنا في أعماق الشر، بل وأيضاً حين نمجد ونشكر خالقنا. إن التسبيح غير المنقطع لاسم الله هو ما يحررنا حقيقةً من قوة الخطيئة ويقودنا تدريجياً إلى الكمال، بصفته تعبيراً عن نضجنا الروحي.

إن تسبيح الله مهم بشكلٍ خاصٍ للناس في أيامنا هذه التي يعاني فيها الجنس البشري من آفة اليأس والاعتلال العصبي. جميعنا عصبيون، نصيح لأتفه الأسباب: "لا تلمسني!" "دعني وشأني!". أريدكم أن تعلموا أنَّه حتى الدّارسون المعاصرون قد أثبتوا هذه الحقيقة الروحية. إذا تعلم الإنسان أن يردد باستمرارٍ: "المجد لك يا الله! المجد لك يا الله!"، فإن حياة هذا الإنسان تتغير جذرياً، حتى ولو كانت لديه آلاف المشاكل والمصاعب والبلايا المختلفة. إن عبارة "المجد لك يا الله!" تفعل في النفس كالبلسم الشافي، محولة المرارة والخل الذي يملأ نفوسنا إلى

حلاوة لا توصف. يتحول الخل إلى نبيذ حلو، والعكس صحيح: التبرُّم والامتعاض واليأس والكآبة، حين نبدأ نقول: "آه، كل شيء بشعٌ بالنسبة لي. لا أستطيع القيام بذلك بعد الآن. لم تعد لدي القوة. من الأفضل أن أموت عوض العيش بهذه الطريقة"، فإنَّه حتى ولو كان هناك قليل من النبيذ الحلو في نفوسنا، فإنَّه سيتحول في وقتٍ قصيرٍ إلى خل نتيجة تذمرنا. لذلك فإنه من المهم جداً للإنسان أن يتمكن من تسبيح الله.

إن تيبيكون الكنيسة ينصُّ على أن يُخدم القداس الإلهي وقوفاً – خلال القداس الإلهي، يقف كل من الكاهن والرعية. لا نقوم بسجداتٍ إلى الأرض كما في أديان أخرى، بل نقف منتصبين ونحدق بالله الآب وجهاً لوجهٍ مثل الأطفال. يريدنا الله أن نكون أبناءه، لا عبيده، لذلك فإننا نصلي وقوفاً أثناء القداس، ونحني ركبنا فقط في أوقاتٍ استثنائية معينة خلال الخدمة.

إننا نمجد الله، وهو يستجيب لتسبيحنا بنعمته.

أكرر أننا نحن المسيحيين ننعم بأعظم امتيازٍ لمباركة اسم الله، ومباركة مملكة الآب والابن والروح القدس. إن هذا التسبيح يُخرجنا من عنصر هذا العالم ويقودنا إلى حقيقة أخرى – إلى حقيقة الله.

"مباركةٌ هي مملكة الآب والابن والروح القدس". لماذا تتكلم هذه العبارة عن المملكة، ولماذا يدعى الله ملكاً؟ لأنه في القِدم، حين كان ملكٌ يملك على مدينة، فإنه كان يملك على كل ما فيها. كل ما في المدينة كان ملكاً له، وجميع سكان المدينة كانوا رعاياه. لذلك عندما يسود المسيح في نفوسنا، فإنَّ كل ما نملكه يخصُّه هو: الذهن والقلب والجسد وكل كياننا. كل شيء يتقدس حين يسود الله على نفس الإنسان. لا يوجد شيء، بل ولا يجوز أن يوجد شيء في حياتي خارج أبواب مملكة الآب والابن والروح القدس. علينا أن نكون متيقظين لنضمن أن كل شيء في حياتنا، من الألف إلى الياء، مُنارٌ بنور هذه المملكة. يجب أن يشهد ضميرنا أن المسيح يسود علينا، وأننا في مملكته.

إني أتذكر حادثة من حياتنا الرهبانية. أخبرنا شيخنا الدائم الذكر، الأب يوسف (فاتوبيذي)، أنه حين كان راهباً مبتدئاً لدى القديس يوسف الهدوئي، كان هو والإخوة يذهبون كلَّ مساءٍ إلى قلالهم للقيام بقانون صلاتهم المسائي، فكان يسأل نفسه: "ما الذي فكرت به وقلته وفعلته اليوم؟ هل كان مختوماً ببركة الله؟ هل أخذت بركة شيخي؟ هل أخفيت شيئاً عن شيخي، حتى ولو بشكلٍ لاإرادي؟". وإذا شهد ضميره بأنه لم يُخفِ شيئاً عن الشيخ، وأنه قام بكل شيء ببركة الشيخ، عندها كان يبدأ الصلاة بهدوء. وأمَّا إذا وبَّخه ضميره حول فِعلٍ قام به انطلاقاً من مشيئةٍ ذاتية، عندها كان يذهب مباشرةً ويخبر الشيخ بكل شيء، لكي لا يمنع أيُّ شيءٍ النعمةَ من المجيء إليه أثناء قانون صلاته. يجب أن أقول إنَّ جميع آباء الكنيسة [القديسين] بالعمومِ كانوا يقظين وصارمين للغاية فيما يخص نقاوة ضميرهم.

سأخبركم بقصتين من حياة أحد أعظم النساك المعاصرين، والذي كان ما يزال غير معروفٍ كثيراً حينها لأنه لم يستقبل زواراً. فقط قليلٌ من الرهبان كانوا يعرفونه، بمن فيهم أخويتنا، لأنه كان أخاً روحياً لشيخنا. إنني أتحدث عن القديس أفرام الكاتوناكي، العملاق الروحي العظيم، المعروف خاصةً من أجل حفظه الصارم لضميره. كان

صارماً لدرجة لا تصدق بخصوص ضميره. لم يقبل ولا حتى أصغر مساومةٍ بخصوصه. لم يسمح لنفسه بأدنى انحراف عن قانون الضمير، بل راعاه روحاً وحرفاً. ولأجل ذلك منحه الله فيضاً من النعمة.

في إحدى المرات أتى الأب أفرام من كاتوناكيا إلى الإسقيط الجديد حيث كنا مقيمين. تحدث إلى شيخنا، وقبل المغادرة أراد أن يكتب شيئاً ما. أعطاه شيخنا قلماً. كان قلماً عادياً، وليس قلم "باركر" فارهاً، بل قلم "بيك" عادياً. في ذلك الوقت كانت تلك الأقلام تصبح واسعة الانتشار. كتب الأب أفرام ملاحظته وأعاد القلم قائلاً: "أيها الأب يوسف، يا له من قلمٍ جميل!". فأجاب شيخنا مباشرة: "خذه أيها الأب. لدي واحد آخر. وعندما أذهب إلى العالم في عملٍ ما يمكنني شراء واحدٍ آخر". (علي أن أضيف أن الأب أفرام لم يذهب مطلقاً إلى العالم). أخذ الأب أفرام القلم وودَّعنا وعاد إلى مكان نسكه في كاتوناكيا. كان ظلامٌ حين غادرَنا. كانت المسافة كبيرة من الإسقيط الجديد إلى كاتوناكيا، وكان الطريق صعوداً. لم يكن الطريق عبارةً عن نزهة ممتعة على طول الشاطئ، بل صعوداً وهبوطاً على طول الممرات الجبلية. كان الطريق يستغرق ساعة ونصفاً أو ساعتين على الأقل في طقس جيد ووتيرة سريعة.

حل الليل وكنا نقوم بقانون صلاتنا المسائي، بحسب عادتنا، باستخدام مسبحة الصلاة. حوالي منتصف الليل كان هناك طَرقٌ على باب القلاية. من عساه هذا الذي يتجول في الأرجاء في مثل هذه الساعة؟ فتحنا الباب وإذ به الأب أفرام واقف عندالعتبة. دخل وقال متوجهاً بالكلام إلى شيخنا:

- "أيها الأب يوسف، خذ القلم. لا أريد أن أقتنيه".
- "ماذا حصل؟"
- "أرجوك أن تستردَّه. أخذته بدون بركة. وبما أنني تصرفت بحسب مشيئتي الذاتية فأنا الآن لا أستطيع خدمة القداس الإلهي. أشعر بأن هناك ما يعيق الخدمة"

أقنع الأبَ يوسف باسترداد القلم. أترون، كيف أن الأب أفرام أتى لرؤيتنا، ثم غادر إلى كاتوناكيا، ثم عاد إلينا، ثم ذهب مجدداً إلى كاتوناكيا. فكروا بمقدار الوقت الذي قضاه على الطريق. قضى الليل بطوله عملياً. كان يمكن لشخصٍ آخر بمكانه أن يقول: "حسناً، لا يهم. سأرجع القلم غداً. ليست مصيبةً إذا بقي معي في القلاية الليلة. لن أستخدمه". ومع ذلك فإن الأب أفرام لم يتمكن من فعل ذلك – لقد شعر بأن ارتباطه بالنعمة الإلهية داخل نفسه قد انقطع لأنه سمح لنفسه بالقيام بأمرٍ، كان بحسب رأيه، ترفاً ومشيئة ذاتية. فسّر الأمر للأب يوسف بأنَّه لم يكن قد حصل على بركة شيخه ليأخذ القلم. مع أنَّ شيخه الأب نيكيفوروس كان في ذلك الوقت مريضاً بالألزهايمر. كان الأب أفرام راهباً مبتدئاً مثالياً، مما جعله قديساً عظيماً من قديسي زماننا.

في مناسبةٍ أخرى، نزل الأب أفرام من كاروليا إلى المرفأ ليرسل رسالة. عندما توقف قارب عند الرصيف، صعد إليه الأب أفرام. كان سائق المركب يتحدث حينها إلى راهب آخر ولم يلحظ وجود الأب أفرام. أعطى الأبُ أفرام الرسالة إلى أحد الركاب، ولكنْ قبل أن يتمكن من مغادرة المركب كان السائق قد ابتعد به عن الرصيف. طلب منه الأب أفرام قائلاً: "يا مبارك، دعني أخرج من المركب". كان سائق المركب شخصاً "مدنياً" (ليس راهباً)، بسيطاً وفظاً وعرضةً لفورات الغضب. غضب من الأب أفرام لأنه كان عليه العودة إلى الشاطئ لإنزاله، وبدأ بالصراخ عليه

وشتمه. عندما عاد الأب أفرام إلى قلايته، بدأ ضميره يوبخه لأنه أحزن سائق المركب. فكر في نفسه: "لقد أحزنته وأوقعته في التجربة. كيف لي أن أخدم القداس الإلهي الآن؟". وفي منتصف الليل توجه من كاتوناكيا إلى إسقيط القديسة حنة حيث كان سائق المركب مقيماً. الطريق في ذلك المكان منحدر وخطير، ومخيف حتى بمجرد التفكير به. ومن ثم كان عليه في طريق العودة أن يتسلق صعوداً. مع ذلك فقد وصل الأب أفرام إلى منزل سائق المركب وقام بمطانية أمامه وقال: "سامحني. لقد أحزنتك هذا الصباح".

أريد بهذه الأمثلة أن أريكم بأن شعب الله يريدون شيئاً واحداً – أن يكون الله مَلكاً على كل ما يقومون به في حياتهم، على كل كيانهم. لا يحتملون أن يكون هناك شيء في حياتهم خارج بوابات ملكوت الله. ونحن الذين نحيا في العالم يجب أن ننتبه إلى ذلك بشكلٍ خاص. يتولد لدي انطباعٌ في بعض الأحيان أنَّه بالنسبة لكثيرين منا، تبدو النفس وكأنها مقسمة إلى عدة حجرات منفصلة بفواصل داخلية. حجرة لتقوانا وحياتنا في الكنيسة. حجرة أخرى لحياتنا الدنيوية، ونتصرف فيها بشكلٍ مختلفٍ تماماً كما لو أننا نضع قناعاً مختلفاً. الحجرة الثالثة لعملنا. أحياناً ترى شخصاً ما في الكنيسة – يكون رقيقاً، هادئاً، والحديث معه يبعث على السرور. ومن ثم تراه في العمل – تجده كئيباً مكفهراً لا يمكن الاقتراب منه والتعامل معه، حتى أنك ترغب بأن تقول له: "ابتسم فقط! ماذا دهاك؟ كنت مختلفاً تماماً في الكنيسة". يكون المرء شخصاً مختلفاً في المنزل مع عائلته، ومختلفاً أثناء القيادة. السيارة أيضاً حجرة من حجرات نفسه. كم من مرة سمعت في الاعتراف: "يا أبانا، غالباً ما ألعن وأشتم السائقين الآخرين أثناء القيادة". من المستحيل أن ترجوَ أن تسكن نعمة الله في نفسك إذا كانت مقسمةً إلى أقسامٍ وحجراتٍ متعددة. والأهم من ذلك، عليك أن تتحلى بالاتحاد الداخلي وعدم التجزؤ. لسانك وذهنك وأفعالك – كل ما فيك يجب أن تظلله نعمة الله.

الإنسان الذي حاز نعمة الله لا يتغير بتغيُّر الظرف أو البيئة. كل ما يخصه يبقى نفسه بدون تغيير – أفكاره وكلماته وأفعاله، السرية منها والظاهرة، المرتكبة سراً أو علناً. شدد آباء الكنيسة القديسون على أنه يجب ألا نكون متقلبين ومتغيرين، أياً يكن من يقف أمامنا، حيثما وجدنا أنفسنا. سواء كنا أمام جمهورٍ من الملايين أو لوحدنا في خصوصية، علينا أن نبقى نحن ذاتنا ونتصرف بالشكل ذاته. حين تكون وحيداً تشعر وكأن العالم بأسره يشاهدك. وعندما يكون العالم كله يشاهدك تشعر وكأنك لوحدك. في كل مكان وفي أي مكان، اشعُر بحضور الله ولا شيء آخر سواه.

في مواجهة أقوياء هذا العالم، أولئك الذين تعتمد عليهم رفاهيتك المادية، أو أولئك الذين تخافهم، لا تكن متملقًا؛ لا تغير سلوكك. تصرف بنفس الطريقة مع الجميع، بشكل ملائم – كن متواضعاً. لا أتكلم عن عقدة نقص، بل عن التواضع النبيل لأبناء الله. إن سلوكاً كهذا يترك انطباعاً عميقاً لدي أنا شخصياً. لقد لمست هذا التواضع لدى نساكٍ قديسين معاصرين قد أتت للقائهم شخصياتٌ رسمية رفيعة المستوى: رؤساء وزراء، رؤساء دول، وأناسٌ ذوو شهرة عالمية. عند تعاملهم مع زوارٍ كهؤلاء لم يكن هناك ظلُّ تغييرٍ في سلوك النساك، ولا ظل تزلف أو تملق. قاموا باستقبال جميع الزوار بنبلٍ روحي، وتحدثوا إليهم بغض النظر عمَّن كان أولئك الزوار. كانوا بعيدين كل البعد عن إرضاء الناس. ولأجل هذا السبب عينه سكن الله في نفوسهم وفي كيانهم كله. يمكنكم أن

تلمسوا النعمة التي كانت تملؤهم. أتذكر أني حين راقبت أولئك الأشخاص القديسين، رأيت أنَّه حتى ثيابهم كانت تنضح بالنعمة. ارتدوا أبسط وأقدم ثيابٍ وأكثرها رثاثة. ولكن ثياب النسَّاكِ وقلاليَهم وكل مقتنياتهم كانت تشع بالنعمة.

ينطبق الأمر ذاته على النساك القدماء. يقالُ على سبيل المثال عن القديس باسيليوس الكبير إنَّه كانت لديه عرجة خفيفة. يقال الأمر ذاته عن مواطنيه الكبادوكيين: كانوا جميعاً يعرجون. وبالتالي فقد قلدوا القديس! كم كان تأثيره عظيماً عليهم! كان القديس باسيليوس يعرج بسبب مشكلة في قدمه، ولكن الكبادوكيين عرجوا تمثُّلاً به، لأن النعمة الكامنة في نفسه تركت انطباعاً لديهم حتى أنهم قلدوا حتى سلوك القديس الخارجي.

والنساك القديسون المعاصرون تركوا انطباعاً عميقاً لدى زوارهم حتى أنه يمكنك أن ترى كيف بدأ الناس بتقليدهم بأمورٍ خارجية. السبب وراء ذلك الانطباع هو أن النعمة العظيمة انسكبت، لا من النساك القديسين فحسب، بل وأيضاً من كل ما كان يحيط بهم: من ثيابهم، أو بالأحرى من الخرق التي كانوا يرتدونها، من قلاليهم، من جذوع الأشجار التي استخدموها عوض الكراسي، ومن كل شيء آخر. هذا يشهد على أن المرء قد جعل المسيح مَلكاً على حياته، على كيانه بأكمله – ذهنه وقلبه وكلماته وأفعاله. في إحدى المرات، شربَ شخصٌ ما كوب ماء من الشيخ باييسيوس، ولاحقاً قال إنه لم يشرب أبداً ماءً لذيذاً كهذا في أي مكان. أو مثلاً، كثيراً ما يمدح السواح طعام الدير وكم هو لذيذ. وكيف هو مُعَد؟ إنَّه مُعدٌّ بالماء فقط بدون زيت. النعمة هي ما تجعل كل شيء رائعاً للغاية.

عليَّ أحياناً أن أذهب إلى مناسباتٍ متنوعةٍ في منازل غنية أو فنادق فارهة. ترون كل شيء فاخراً بشكل رائع هناك وتفكرون: "كل هذه الرفاهية لا يمكن مقارنتها حتى بقلاية الشيخ باييسيوس الحقيرة". كيف كانت قلايته؟ حجرة صغيرة بأرضية ترابية. صنع السرير بنفسه من بعض الألواح، وكان أشبَه بالتابوتٍ منه بالسرير. وصنع الكُرسي بنفسه أيضاً. ولأجل الكتابة استعاض عن المكتب بلوحٍ خشبي كان يضعه على حضنه. وكانت لديه أيضاً ساعة قديمة لتَتبُّع الوقت، وبعض الأيقونات الورقية على الجدار. كل شيء قد اسودَّ من دخان الموقد والشموع التي كان يشعلها طيلة الوقت.

في إحدى رحلاتنا إلى روسيا، زرنا متحف التراث ورأينا غرف الإمبراطورة كاثرين. يا إلهي! أي ترف لم تُحط به هذه المرأة نفسها! لا يمكنني حتى تخيُّل كيف استطاعت أن تعيش في وسط كل هذا. بالطبع قلت: "لو أُغلِق عليي في غرفة كهذه لليلة واحدة لفقدت عقلي".

حين تكون نعمة الله غائبةً يكون كل شيء ميتاً ومتعباً. إنَّ أجمل قصرٍ، إن لم يكن الله فيه فهو ليس بقصر، بل هو مقبرة. إن حياةً في مكانٍ كهذا ستقتلك. دع الله يتواجد في كوخ بسيط (كان هناك الكثير منه، وهو مصنوع من غرفة واحدة مشتركة حيث كانوا يطبخون ويأكلون وينامون) ضع أيقونة هناك وقنديلاً وابدأ بالصلاة، وسيصبح هذا الكوخ مثل الفردوس – فردوس جميل جداً حتى أنك ستتعجب قائلاً: "آه لو عرف جميع الناس كم من الفرح والبركة موجودة في هذا الكوخ!" حين يكون الله حاضراً يصبح كل شيء مباركاً، لأن الله يسود كل شيء.

"مباركةٌ هي مملكة الآب والابن والروح القدس" - مملكة الثالوث القدوس الذي باسمه اعتمدنا – "الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين". كثيراً ما نسمع العبارة الأخيرة خلال الخِدَم الإلهية، بما فيها القداس الإلهي. لماذا نكرر هذه العبارة كثيراً؟ لأن كل شيء نخدمه في القداس الإلهي لا نهاية له، وإنما هو أبدي. إن ما نحتفل به في القداس ليس أمراً اعتيادياً أو أرضياً، بل أمراً أبدياً لا يفنى. حين أفتح فمي وأبارك اسم الله، فإن هذه البركة أبدية وغير منتهية. الكلمة التي تخرج من فمي لا تموت، ولا يحدُّها شيء.

شاركَني صديقٌ لي، وهو كاهن راهب، بإحدى خبراته الروحية. أخبرني بما حصل معه بعد أن منحه الله موهبة الكهنوت وبدأ بخدمة أول قداس إلهي له. كان واقفاً أمام المذبح في كنيسة آثوسية صغيرة (في الأساقيط في جبل آثوس تكون الكنائس عادةً صغيرة جداً، والمذبح يكون أيضاً صغيراً وعادةً ما يكون في آخر الهيكل)، وردد الإعلان الافتتاح: "مباركة هي مملكة الآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين". ما إن نطق بهذا الإعلان، وفي تلك اللحظة عينها وبنعمة الله، أُعطيَ أن يرى بالروح كيف انفتح سقف الكنيسة وكيف بلغت كلماته دهر الداهرين. لقد اختبر حساً من الأبدية في تلك اللحظة. تخيلوا أن تنفتح أمامنا فجأة نافذة إلى الأبدية التي لا نهاية لها، والتي يمكننا مع ذلك أن نتأملها – ليس كما نرى عادةً الأغراض من حولنا – فقط إلى درجة محددة، ومن ثم يختفي كل شيء عن أعيننا، لأن قوة الرؤيا محدودة. شعر صديقي بخوف مقدس: ما أعظم أن ينطق المرء بكلماتٍ تمتد إلى دهر الداهرين.

الكلمة لا تفنى، خالدة، لا نهائية. إن مباركة اسم الله تنطوي على نعمة عظيمة. دعونا مع ذلك نضع ما يلي في اعتبارنا: ليست مباركة اسم الله فقط ما يمتد إلى دهر الداهرين، بل وأيضاً كل كلماتنا الأخرى (الكلام البطال، التجديف، الدعابات) تمتد إلى دهر الداهرين. كم علينا أن نكون منتبهين إلى كلماتنا!

بعد وقتٍ قصير من سماعي هذه القصة من صديقي، قرأت كيف أن أحد العلماء أثبت أن الكلمات التي يقولها الناس لا تختفي. من الممكن، على حد قوله، اختراع آلة يمكنها التقاط كل كلمةٍ قد نُطِق بها يوماً ما، فيمكننا إذاً أن نسمع الكلام الذي نطق به المسيح نفسه منذ ألفي عام. لا أظن أنَّه سيكون أمراً غريباً إذا ما تم اختراع آلةٍ كهذه فعلاً وسمعنا صوت المسيح. ولكن في كلتا الحالتين فالأمر غير مهم بالنسبة لنا. فالمعنى يكمن في أمر آخر: بما أن تمجيدنا لاسم الله يمتد إلى اللانهاية، فنحن أنفسنا نصبح بلا نهاية، وهذا يجعلنا ندرك كم من المهم بالنسبة لنا أن نملك الفرصة لنبارك الله وندخل إلى حقيقة أخرى مختلفة – حقيقة القداس الإلهي. كما سبق وقلت، فإن القداس الإلهي هو أهم عملٍ للكنيسة، والتي توجد لكي تحتفل بالقداس الإلهي. العمل الرئيسي للكنيسة هو القداس. وكل أمرٍ آخر هو ثانوي ويتم القيام به فقط لكي يأتيَ بنا إلى القداس الإلهي، إلى خدمة الله. أما بالنسبة لكل شيء آخر، فإذا تمَّ فهذا جيد، وإذا لم يتمَّ، فلن يضيع العالم بدونه.

إلا أن العالم لا يمكن أن يوجد بدون القداس الإلهي

Source: Metropolitan Athanasios of Limassol. Without Which the World Cannot Exist. A Talk On the Divine Liturgy. Translation (from Greek) by Jesse Dominick. Pravoslavie.ru. 6/23/2021. https://orthochristian.com/140081.html

صلاة النوم الكبرى في عبادة الصوم الكبير

ستيليانوس ياراسيموس
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

على مدى حياته، يوجّه المسيحي انتباهَه إلى الله ويدخل في شركة معه من خلال الصلاة. ولهذا يؤكد القديس غريغوريوس اللاهوتي: "أَتحِدْ أنفاسك بذكر الله".

الصلاة هي الوسيلة الملموسة التي يشعر بها الإنسان في قلبه بأن قوى الله اللامتناهي تزوره. تبلغ حالة صلاة الإنسان هذه ذروتَها خلال فترة الصوم الكبير. وتساعد الكنيسة في هذا الأمر من خلال خِدَمها العبادية اليومية.

في الصباح نرتل خدمة طويلة جداً تشمل صلوات نصف الليل، والسحر والساعات، كما صلاة غروب اليوم التالي. وهناك أيضاً صلاة النوم الكبرى وقداس القدسات السابق تقديسها والقانون الكبير. يُقام كل صباح أحد قداس القديس باسيليوس الكبير الإلهي، بينما تُقام صلاة الغروب في فترة ما بعد الظهر. وأخيراً، كل يوم جمعة نرنم مديح والدة الإله الكلية القداسة.

بالطبع، لا يمكن تحليل جميع خِدَم العبادة في دراسة واحدة. ولهذا السبب سنقتصر على التعليق على خدمة النوم الكبرى.

لطالما كان الليل دائماً فرصة لعلاقة الإنسان وتواصله مع الله. وذلك لأن الإنسان في ذلك الوقت يصل إلى إمكانية الابتعاد عن الأرض، لكي يهتمّ برحلته نحو السماء. كثيراً ما كان الرب نفسه يصلي في المساء "ويبيت في الصلاة لله" (لوقا ٦: ١٢). لذلك، إذ أدركت الكنيسة هذه الحاجة الإنسانية، وضعت بجانب الصلاة الشخصية صلاة مشتركة تسمى أبوديبنوس (باليونانية تعني تضرع). كان يُطلق عليه اسم Apodeipnos، لأنه تم تحديدها بعد تناول وجبة المساء (apo تعني بعد ، deipnos تعني العشاء).

منذ القرن الرابع عشر، نشأت حاجة إلى تقصير صلاة النوم وصارت أمراً ضرورياً، ومع مرور السنين ومع الإضافة المستمرة للصلوات عادت وصارت مدتها طويلة. في النهاية، انتشرت صلاة النوم الصغرى، وهي تُقام خلال معظم أيام السنة. أما الخدمة الأقدم والأكثر شمولاً فقد بقيت سائدة خلال فترة الصوم الكبير وتسمى بصلاة النوم الكبرى. ولأن الصوم الكبير هو أكثر مهابة، فإن هذه الخدمة هي شكر للرب "إذ قد عبرنا النهار وأن يهبنا العشية مع الليلة بغير خطيئة".

تُقام صلاة النوم الكبرى مساء أيام الاثنين والثلاثاء والخميس خلال الصوم الكبير. بعد ظهر الأربعاء يُقام القداس الإلهي للقرابين السابقة تقديسها، أما مساء الجمعة، كما ذكرنا أعلاه، فيُصلّى مديح والدة الإله الكلية القداسة. في مساء يوم السبت، تُقام صلاة النوم الصغرى. في الأديار، تُصلّى صلاة النوم الصغرى في رواق الكنيسة الكبيرة (الكاثوليكون)، بينما تُصلّى صلاة النوم الكبرى في صحن الكنيسة.

بمساعدة المزامير وصلوات النوم الكبرى، يعيد المؤمن النظر في أحداث اليوم الماضي. وهذا النقد الذاتي سيساعده على الانكسار والتوبة عن إخفاقاته الروحية: " بالدموع أبلّ في كل ليلة فراشي" (مزمور ٦: ٦).

خلال صلاة النوم الكبرى نردد ترنيمة كنيستنا القديمة: "معنا هو الله، فاعلموا أيها الأمم وانهزموا، لأن الله معنا"، وهي مأخوذة من تسبحة في الإصحاح التاسع من كتاب إشعياء في العهد القديم. ونرتّل أيضاً التسبحة التالية: "إن طبيعة الشاروبيم غير المتجسدة، تمجدك بتسابيح لا تنقطع". وهذا التسبيح لله الآب، هو تعبير عن ارتفاع الإنسان روحياً إلى الله. بالاعتماد على نعمة الله ورحمته يشعر الإنسان الآن بهذه الترتيلة التمجيدية.

نلاحظ إذن أن إحسان الله الذي لا يوصف يمتد حتى عندما ينام الإنسان. وتؤكد هذه الحقيقة أيضاً الصلاة التالية: "يا رب، يا رب، يا من أنقذتنا من كل سهم يطير في النهار، نجنا من كل أمر يسلك في الظلمة... وأهّلنا أن نجوز مسافة الليل بلا عيب."

وحده الله هو القادر على تقديم المعونة الحقيقية لمخلوقاته في جميع المراحل، وخاصة عندما يكونون في التجارب. لأن الإنسان قد يُمتحن ويحزن ليلاً ونهاراً، فيرتّل: "يا رب القوات كن معنا، لأنه ليس لنا في الأحزان معين سواك. يا رب القوات ارحمنا".

Source: Στυλιανοῦ Γερασίμου. Ἡ λατρεία στὴν μεγάλη τεσσαρακοστὴ "τὸ μέγα ἀπόδειπνο". Παρεμβασης. Προβολές: 2430, 02 Φεβρουαρίου 2015. http://parembasis.gr/index.php/el/menu-teyxos-96/2708-2004-96-19

المديح ودور والدة الإله في الصوم الكبير

سوتيريوس سارفانيس
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

بدأ الصوم الكبير المقدس منذ أيام قليلة، وأصبح المناخ مهيباً وحزيناً، كما يليق بهذه الفترة. إنه أجمل وأحلى فصول السنة، حيث تتاح لنا فرصة كبيرة للصلاة والتوبة من جانبنا والتكرّس المطلق الذي يجعل هذه الرغبة أقوى.

في حياة العبادة في كنيستنا خِدَمٌ جميلة ومهيبة، مثل صلاة الغروب، النوم الكبرى، وكذلك مديح والدة الإله الكلية القداسة التي تمنحنا قوة خاصة خلال هذه الفترة. والسيدة، كما نعلم، هي الوسيط الأعظم لدى إلهنا الكلي الصلاح.

لماذا رتّبت الكنيسة مديح العذراء في الصوم الكبير؟ وما علاقته بآلام الرب وقيامته التي سنختبرها قريباً؟

إن دور السيّدة في حياة كل إنسان عظيم. وهي تشفع لنا لدى الله لخلاص نفوسنا.

ولهذا السبب اختارت كنيستنا دمج خدمة المديح بالصوم الكبير قبل الفصح.

وفي هذه الخدمة نتضرع جميعاً إلى أمنا لأن تدعمنا في جهادنا الذي بدأ منذ أيام قليلة. أن تتشفع بنا عند الله من أجل خلاص نفوسنا ومن أجل نهاية سعيدة لهذا الجهاد، ليكون سلمياً وبلا خطيئة، حتى نختبر بنفوس طاهرة آلام ربنا المقدسة والرهيبة ومن ثم قيامته المشرقة. . وحضور السيدة في العالم هو أمر عظيم وخلاصي في حياتنا اليومية، خاصة في الأحداث الكبيرة كالحرب.

"افرحي يا مَن بها يقوم الظفر، افرحي يا مَن بها تسقط الأعداء"

هنا تجدر الإشارة إلى حدث تاريخي، كمثال وبرهان على تدخل السيدة الخلاصي في تاريخ العالم: في سنة ٦٢٦، فيما كان الامبراطور هيراكليس (هرقل) مع الجيش الرومي بعيداً يحارب الفرس، وقعت القسطنطينية فجأة تحت حصار الآفار[٢] (Avars). رفض الآفار كل اقتراحات وقف القتال، وفي السادس من آب احتلوا كنيسة والدة الإله فلاخرن. وبالتعاون مع الفرس اعدّوا الهجوم النهائي، في وقت كان البطريرك سرجيوس يقيم زياحاً حول أسوار المدينة حاملاً أيقونة والدة الإله فلاخرن ويشجع الناس على المقاومة.

في تلك الليلة، قامت ريح شديدة عُزِيَت إلى التدخل الإلهي، فأثارت عاصفة في البحر ودمرت أسطول العدو، فيما تسبب المدافعون في خسائر فادحة للآفار والفرس الذين اضطروا إلى فكّ الحصار والخروج خالي الوفاض. في الثامن من آب عام ٦٢٦، أُنقِذَت المدينة من أعظم تهديد تعرضت في تاريخها حتى ذلك الحين.

[٢] الآفار أو الأَوَارْ أو الشعب الأوَاري هم شعب قوقازي أصلي، يسكنون اليوم في شمال شرق القوقاز وتحديداً في جمهورية داغستان بروسيا الاتحادية والمناطق المجاورة لها من أذربيجان وجورجيا والشيشان.

أراد الناس الاحتفال بخلاصهم الذي نسبوه إلى معونة والدة الإله، فاجتمعوا في كنيسة والدة الإله في فلاخرن. من ثمّ، وبحسب التقليد، ردد الجمهور الواقف ما صار يُعرف باسم "المديح الذي لا يُجلَس فيه"، وهو قصائد شكر للقائدة البطلة للدولة الرومية، ونسبوا إليها النصر ورددوا بامتنان: "يا جندية محامية...".

هذا مثال حي على تدخل الفائقة القداسة في تاريخ العالم. إن شفاعتها يمكن أن تفتدي أمماً بأكملها، ناهيك عن أرواحنا، فهي تتوسط أمام الله من أجل خلاصنا، وتخلصنا من أهوائنا. بها "يقوم الظفر" و "تسقط الأعداء" (الدور الرابع).

إنها "مفتاح أبواب الفردوس" (الدور الثاني) و "جسر ناقل الذين في الأرض إلى السماء" (الدور الأول).

نشأة المديح الذي لا يُجلَس فيه وتقسيمه إلى أدوار

ينقسم قانون المديح، الذي أنشئ منذ عام ٦٢٦ م، لإظهار امتناننا العميق للفائقة القداسة (البانايا)، إلى أربعة أدوار من الحروف الستة للأبجدية اليونانية، وهو معروف بخدمة المدائح، ويُرتل دورٌ واحد في مساء كل يوم جمعة في الصوم الكبير، ما عدا يوم الجمعة الخامس يتم ترتيل القانون بأكمله. وشاعر المدائح هو القديس رومانوس المرنم، أما القانون الذي يُرتل قبل كل دور فقد كتبه القديس يوسف كاتب التسابيح.

الطبيعة الخلاصية للمدائح

من هذا كله نفهم أن وضع المدائح في الصوم الكبير ليس صدفة. إن ما نختبره من بعدها هو حدث رهيب وعظيم ويجب أن تكون نفوسنا نقية لتختبره، وهو الآلام المقدسة وقيامة ربنا الأكثر سطوعاً.

لهذا نطلب من الفائقة القداسة أن تدعمنا في هذه الفترة بمحبتها وعطفها الأمومي، لتشفع إلى أبينا السماوي، لكي نكمل هذا الجهاد الذي نتحمله خلال الصوم الكبير، فتكون كل جهاداتنا لخلاصنا بسلام وبلا خطيئة، لنتمتع بملكوت الله.

إن هذا هو ما نعبّر عنه في البيت الثالث من الدور الثالث "افرحي يا مفتاح أبواب الفردوس" وكذلك في البيت الأخير من الدور الرابع "أيتها الأم التي ولدت الكلمة الأقدس من كل القديسين، تقبّلي هذه التقدمة (القربان)، وأنقذي الكل من جميع المصائب، وخلصي من العقوبة المزمعة الصارخين نحوك: هللويا."

Source: Σωτήριος Σαρβάνης. "Χαίρε, Παραδείσου θυρών ανοικτήριον..." Romfea. 18/3/2016. https://www.romfea.gr/pneumatika/7010-xaire-paradeisou-thuron-anoiktirion

قبل أن يغرق المركب....

د. اسكندر كفوري

على مدى التاريخ المسيحي، اعتُبرت المثلية إثماً وعملاً غير أخلاقي وخطيئة، وقد حصر الكتاب المقدس الزواج بين الرجل والمرأة فقط وحرّم أي علاقة خارج هذا الاطار كما جميع أشكال النشاطات الجنسية الأخرى، وحددت الكنيسة من خلال قوانينها وتعاليمها أنَّ مثل هذه السلوكيات ممنوعة لأنها تُعتبر آثامًا، وتم مقارنة هذه السلوكيات في فساد سلوك أهل سدوم وعمورة. وأعتبرت الكنيسة على الدوام هذا النوع من النشاط الجنسي ضد الطبيعة وغير أخلاقي. وهذا واضح كنسياً ولا مجال للطعن فيه، كما جاء في الكتاب المقدس "لاَ تُضَاجِعْ ذَكَرًا مُضَاجَعَةَ امْرَأَةٍ. إِنَّهُ رِجْسٌ من الشيطان". كما أدان الرسول بولس في رسالته الى اهل روميه المثلية الجنسية: «وَكَذلِكَ الذُّكُورُ أَيْضًا تَارِكِينَ اسْتِعْمَالَ الأُنْثَى الطَّبِيعِيَّ، اشْتَعَلُوا بِشَهْوَتِهِمْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، فَاعِلِينَ الْفَحْشَاءَ ذُكُورًا بِذُكُورٍ، ... مَمْلُوئِينَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَزِنًا وَشَرّ وَطَمَعٍ وَخُبْثٍ، مَشْحُونِينَ حَسَدًا وَقَتْلاً وَخِصَامًا وَمَكْرًا وَسُوءًا، نَمَّامِينَ مُفْتَرِينَ، مُبْغِضِينَ لِلّهِ، ....". إلا أنه وللأسف الشديد بدأت هذه المسلّمات المسيحية تختفي شيئاً فشيئاً ويتفاوت الالتزام بها بين المذاهب المسيحية المختلفة حتى في داخل المذهب الواحد. وهناك بعض وجهات نظر مسيحية ظهرت مؤخراً تدعم المثليين جنسيًا ولا تعتبر الزواج المثلي الأحادي أمراً سيئاً، وان كان اصحابها ما زالوا أقلية حتى الآن.

أغلبية الطوائف المسيحية ترى أن الممارسة الجنسية المثلية ممارسة غير اخلاقية وخطيئة. وهذه الطوائف تشمل الكنيسة الكاثوليكية، والكنائس الأرثوذكسية وغالبية الكنائس البروتستانتية والكنائس المعمدانية، وغيرها.

الكنيسة الكاثوليكية تفرّق بين المثليّة كميول وبين الممارسة المثليَّة، فلا تعتبر الأول خطيئة، إذ إن الإنسان لا يتحكّم بهويته الجنسية، ولكنها تعتبر الممارسة المثلية الجنسية خطيئة فهي تراها ضد القانون الطبيعي. حتى ان البابا بنديكت السادس عشر أصدر في العام ٢٠٠٨ رسالة إلى الكرادلة والأساقفة تحدث فيها عن الدور المميز لكل من المرأة والرجل في العلاقات الزوجية.

الا أن البابا فرنسيس عبّر في أكثر من تصريح عن انفتاح الكنيسة الكاثوليكية على قضية المثلية الجنسية ورفض تهميش وإدانة المثليين جنسيًا إذ قال "إذا كان الشخص مثليًا لكنه مؤمن بالله وبإرادته فمن أكون أنا حتى أصدر حكماً مسبقاً بشأنه". فقد حثّ البابا في رحلة عودته من البرازيل المسيحيين إلى عدم تهميش المثليين في المجتمع. تصريحات البابا هذه راديكالية بالمقارنة مع ما تتبناه الكنيسة الكاثوليكية رسميًا، فهي تصنّف المثلية الجنسية في خانة خطايا تحرم صاحبها من ملكوت الله وبالرغم من هذه التصريحات، إلا أن البابا فرنسيس صرّح: «إنّ الله خلق الإنسان، رجلاً وامرأة، وأعدهما جسديًا الواحد للآخر، في ... لهذا السبب لا توافق الكنيسة على الممارسات المثلية...".

أما الكنيسة الأرثوذكسية فكان موقفها من العلاقات المثلية هو الأكثر تشدداً بين الكنائس حتى أنها رفضت منح الأسرار المقدسة للأشخاص الذين يسعون إلى تبرير النشاط المثلي الجنس، ولكن ما ظهر في الفترة الاخيرة بدأ يلقي الشكوك على تصرفات بعض رؤساء الأساقفة في الكنائس الارثوذكسية المحلية، ولا سيما بعد السعي الحثيث لمتبنّي فكرة الشذوذ والمثلية الجنسية وتغيير الجنس لدى الاطفال في دوائر الغرب وعملهم الدؤوب على شقّ الكنائس الأرثوذكسية وخلق كنائس هامشية وهمية على مثال الكنيسة الإنشقاقية الأوكرانية وفرض ضغوط هائلة على كنائس محلية للاعتراف بهذه الكنائس وتبنّي رجال دين محرومين ومطرودين من كنائسهم ما تسبَّب في شق صفوف الكنيسة الارثوذكسية الجامعة وفي انقسام وخصام ما أضعف هذه الكنيسة وسمح لمدبري هذه المؤامرة على الكنيسة الارثوذكسية بالنفاذ الى جسمها والمباشرة بوضع خططهم موضع التنفيذ، ولا سيما المتعلق منها بالاعتراف بالشذوذ وزواج المثليين. فكانت حادثة تنصير طفلين متبنّيَين من رجلين باركها رئيس أساقفة أبرشية الولايات المتحدة الاميركية التابعة لبطركية القسطنطينية المطران إلبيذوفوروس والتي أثارت الكثير من ردود الفعل داخل الكنائس الارثوذكسية المحلية، ولم يجرِ الرد عليها بشكل حاسم من قبَل كنيسة المطران إلبيذوفوروس الأُم. كما أن التطورات الاخيرة المثيرة للجدل في داخل اليونان حيث اعترفت سلطات أثينا بزواج المثليين تحت تأثير ضغوط الاتحاد الاوروبي بالرغم من رفض الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية بشكل حاسم لهذا الامر، فإن السلطات لم تتراجع في حين أن المجمع المقدس للكنيسة الارثوذكسية اليونانية لم يخرج برد موحد بل كانت هناك ردود متفرقة لمطارنة رفضوا الخضوع لقرارات السلطات.

كل هذه الانقسامات التي تهدد ليس فقط الكنيسة الارثوذكسية، بل العالم الارثوذكسي الذي يسترشد بتعاليم هذه الكنيسة ويلتزم بطقوسها، وهو الذي بقي مستعصياً على الإرادة الشيطانية الغربية المترصدة بالبشرية والراغبة في تطويع الكرة الارضية ووضعها في خانة الهيمنة المطلقة وتحويل سكانها إلى عبيد لدى سيد واحد وفق نظرية صاموئيل هانتغتون. لذلك وجب على الكنائس المحلية المسارعة إلى الاجتماع لأن مصيرها جميعها مهدد وخاصة الصغيرة منها، إن أي اتحاد واجتماع والاتفاق على الحد الادنى في المرحلة الاولى من المشتركات سيكون له أصداء إيجابية تساعد في وقف النزيف الذي يضر بكل هذه الكنائس، إلا إذا كان هناك من مشارك في الخطة التصفووية الغربية لهذه الكنائس.

تعقيب:

د. اسكندر كفوري، عضو في الرابطة الدولية للخبراء والمحللين السياسيين، وخبير في الشؤون الروسية. وهو إذ يضع خبرته في خدمة إيمانه الأرثوذكسي، لا يستطيع أن يغض النظر عن تدخّل السياسة في الكنيسة وتتحرّك غيرته فيكتب مقالات قد يراها البعض سياسية ويرفضها على هذا الأساس، لكن الرب نفسه قال أننا في العالم ولسنا من العالم، وأن علينا أن نكون حكماء. الحكيم هو مَن يستطيع قراءة علامات الأزمنة. من هنا تأتي أهمية هذه المقالات التي توضح أن رئيس هذا العالم واحد، وإن كان يظهر بأشكال مختلفة في حقول مختلفة. فالكاتب إذ يختم بدعوته الكنائس للاجتماع (الذي يرفض البطريرك المسكوني الدعوة إليه) يلاقي الكثيرين من الرؤساء واللاهوتيين الذين كرروا هذه الدعوة خاصةً مع بداية الصوم، وعلى رأسهم رئيس أساقفة ألبانيا أناستاسيوس، والذين يتحسسون الخطر نفسه كل من موقعه ومنظاره (التراث الأرثوذكسي).

حوار مؤلم

الأب أنطوان ملكي

هذه القصة حقيقية أما الأسماء فمركّبة.

جاء الأب غيور إلى الأب أمين وقال له: أريد أن أفكّر وإياك بصوت عالٍ. بعد البركة سأله الأب أمين ما لديه فدفع إليّه هاتفه وطلب منه أن يتابع الفيديو المفتوح، فتابع.

الفيديو فيه كاهن وأبناء رعيته يخرجون في زياح الأيقونات في أحد الأرثوذكسية ليذهبوا إلى كنيسة مارونية قريبة منهم أثناء خروج جيرانهم الموارنة في زياح الشعانين، فتندمج المجموعتان في هرج ومرج.

لم يُفاجأ الأب أمين بما رأى لأنه كان قد رأى هذا الكاهن نفسه في الماضي يخرج بهذه الرعية نفسها في زياح الشعانين إلى كنيسة الموارنة نفسها أثناء احتفالها بالفصح الغربي ليؤدّي لهم مع رعيته "المسيح قام" في يوم الشعانين الأرثوذكسي.

رد الأب أمين الهاتف لصاحبه. فقال له الأب غيور "ما تقول؟" فأجابه "وما نفع القول؟ رحم الله أنطاكية!"

فقال له غيور باندفاع وبعض الغضب: "أين هو مطرانه؟ لا تقل لي إنه لا يعرف ماذا يجري. لبنان كله رآه قبلاً يشعنن على فصح الموارنة. مطارنتنا يدينون واحداً كان منهم وسقط ولما اشتكى عليهم فأدانوه مجدداً. أي خطيئة أكبر؟ جرّ الإدارة الكنسية إلى المحكمة أم جرّ الناس إلى الهرطقة؟ أين هم القاطعون باستقامة كلمة حق؟ أين المجمع؟"

لم يعرف أمين ما هو الجواب المناسب. الفكرة التي كانت تدور في رأسه هي كم غيور يشارك الآن أفكار هذا الكاهن المتألّم؟

لا إرادياً اتخذ الأب أمين موقفاً دفاعياً، رغبةً في تبريد الحوار، وقال للأب غيور: "لا تعمم! ليس كل المطارنة مثل بعضهم" فأجاب غيور بغضب ظاهر "أكيد. أنظر هنا مطراناً آخراً أرسل اليوم إلى كهنته تعميماً يقول حرفياً (وقرأ من هاتفه) 'قدس الآباء الأجلاء، صوم مبارك. يطلب صاحب السيادة المطران (فلان) منكم عدم إستقبال أي إكليريكي من خارج الأبرشية(مطران، كاهن، شماس) في رعاياكم لأي مناسبة كنسية (قداس، سر، جناز او حديث روحي) قبل إعلام سيادته وأخذ البركة حسب الأصول.' أسمعتَ؟ حسب الأصول. هل في الكنيسة أكثر من أصول. هل الأصول في أبرشية تقول بأن كل شيء يجب أن يكون بلياقة وترتيب وببركة المطران، وأن استقبال الإكليريكيين ليس أمراً عابراً؟ أما في أبرشية أخرى فالأصول تقول بأن كاهناً في رعية يستطيع أن يعلن وحدة على قياس بلديته ويجرّ الأبرياء من رعيته إلى حيث لا ينبغي؟ أين الأصول؟ أيستطيع كاهن مولَعٌ بالكاميرا والتقاط الصور أن يوهِم الناس بوحدة غير موجودة؟ أنَلوم الناس إذا استخفوا بالكنيسة حين يستخف بها الكهنة ويهملها المطارنة؟"

لم يطل صمت الأب غيور إذ أخذ نَفَساً وتابع: "هذا ليس فساداً. إنه إفساد. إنه جرٌّ إلى الشر عن سابق تصوّر وتصميم. ويلٌ لمَن به تأتي العثرات. أيُّ ويلٍ لهذا الكاهن؟ أيُّ ويلٍ لمطرانه الذي لا يوقفه عند حده؟ أيُّ ويلٍ لكل الكهنة والمطارنة وحتّى المؤمنين الذين يدركون أنه على خطأ ويسكتون. ما معنى عدم التوصل إلى أي اتفاق في لجان الحوار المسكوني في حين لأي كاهن في أي رعية الحق في تبني وتطبيق الصيغة المسكونية التي يريد هو أو تريدها خوريته أو يريدها بعض المتمولين في الرعية؟"

إلى هنا كان الأب أمين يستمع. إنه موافق على كل كلمة لكنه فقد الرجاء بأنطاكية. فتوجّه إلى الأب غيور قائلاً: "يا أخي كم مرة سبق وقلنا كل هذا الكلام. أنا أوافق على كل كلامك لكني أرى أن الأفضل هو أن نكون مثل لوط. أنا أخرج من أنطاكية ولا أنظر ورائي مثل زوجته." فأجاب غيور "لكني أراك هنا". فأجاب أمين" ليس بالضرورة أن يكون الخروج بالرحيل. أنظر إلى الكاهن الذي تصب غضبك عليه. هذا خرج من الأرثوذكسية لكنه ما يزال كاهناً في الكنيسة الأرثوذكسية إلى أن يخرجه إما المجمع أو الموت. أنا أنتظر الموت، أعني موت الجسد. لذا خرجت من هذه الكنيسة التي تنخرها المسكونية والاستنسابية. كل يغني على ليلاه بحجة التدبير فلا يحقق إلا الفوضى. كثيرون يمعنون في المخالفة بحجة الطاعة ولا أعرف مَن يطيع مَن."

ساد صمت طويل في نهايته قام الأب غيور ومضى دون أن ينبس بأي كلمة استئذان أو وداع.

اتصل بي الأب أمين وسرد لي ما جرى. وفي الختام قال لي: "أنا متألم. لم أكن يوماً أجيد الكتابة. اكتب عن ألمي." فكتبتُ من ألمي.